خالد سنداوي

التشيع في سوريا ليس خرافة!

بحث ميداني



إعداد وترجمة وتحقيق

حمد العيسى





التشيع في سوريا ليس خرافة!

الكتاب: التشيع في سوريا ليس خرافة!
المؤلف: بروفيسور خالد سنداوي
إعداد وترجمة وتحقيق: د. حمد العيسى
التصنيف: بحث ميداني
الناشر: دار مدارك للنشر
الطبعة الأولى: تموز/يوليو 2014
الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 978-9948-466-19-2
طبع في مطابع المتحدة للطباعة والنشر United Printing & Publishing

الكتاب متوافر على الإنترنت:
مكتبة ورقات
WWW.Warqat.com

Madarek مدارك
Madarek Publishing House دار مدارك للنشر
www.mdrek.com - read@mdrek.com

دبي: Dubai:
مجمع الذهب والألماس، شارع الشيخ زايد، دبي - إ.ع.م.
Gold and Daimond park, Sheikh Zayed Road, Dubai, UAE.
P.O.Box: 333577 Dubai - UAE Tel: 00971 4 380 4774 Fax: 00971 4 380 5977

بروفيسور خالد سنداوي

التشيع في سوريا ليس خرافة!

بحث ميداني

إعداد وترجمة وتحقيق :
د. حمد العيسى

المحتويات

الموضوع | الصفحة

تنويهات

(1) الكلمات التي بين معكوفتين، كذا [. . .]، هي للمترجم.

(2) تصميم الغلاف: د. حمد العيسى

نبذة عن المترجم

- حمد العيسى، كاتب ومترجم عربي مقيم في المغرب. ولد في مدينة الدمام المطلة على الخليج العربي.
- بكالوريوس هندسة مدنية.
- ماجستير ودكتوراه في «الترجمة العامة» إنكليزي/عربي.
- مهندس تخطيط في أرامكو من عام 1984 حتى عام 2004، حيث تقاعد مبكرًا وتفرغ للكتابة والترجمة.
- صدرت له الكتب التالية:

(1) (ترجمة) **«وارث الريح»**، مسرحية مترجمة، جيروم لورنس وروبرت لي، (2005).

(2) **(تأليف) «أسبوع رديء آخر»**، قصص قصيرة (2006).

(3) (ترجمة) **«النصوص المحرمة»**، نصوص متمردة، مالكوم إكس وآخرون (2007).

(4) (ترجمة) **«عقل غير هادئ»**، سيرة ذاتية مترجمة للدكتورة كيه ردفيلد جاميسون (2008).

(5) (ترجمة) **«قضايا أدبية: نهاية الرواية وبداية السيرة الذاتية»**، نصوص أدبية مترجمة، دانيال منديلسون وآخرون (2010).

(6) (ترجمة) **«ضد النساء: نهاية الرجال وقضايا جندرية أخرى»**، نصوص جندرية، هانه روسين وآخرون (2011).

(7) (ترجمة) **«قصص لا ترويها هوليوود مطلقًا»**، خطب وحوارات ومقالات مترجمة للمؤرخ هوارد زن (2012).

(8) (ترجمة) **«حتى لا يعود جهيمان: حفريات أيديولوجية وملاحق وثائقية نادرة»**، توماس هيغهامر وستيفان لاكروا (ط-1: 2013)، (ط-2: 2013)، (ط-3: 2014).

(9) (ترجمة) **«السعودية والمشهد الاستراتيجي الجديد»**، جاشوا تيتلبام. (2014).

(10) (ترجمة) «**زمن الفتنة: شيعة ضد سنة... وسنة ضد شيعة!**»، لارس برغر وآخرون (2014).

(11) (ترجمة) «**قبل سقوط الشاه... بقليل**»، دراسة تاريخية/سياسية/اقتصادية، أندرو سكوت كوبر. (2014).

(12) (ترجمة) «**حزب الله الحجاز: بداية ونهاية تنظيم إرهابي**»، دراسة تاريخية/سياسية، توبي ماثيسن (2014).

(13) (ترجمة) «**دور إيران في محاولة الانقلاب الفاشلة عام 1981 في البحرين**»، دراسة وثائقية تاريخية/سياسية، حسن طارق الحسن، (2014).

(14) (ترجمة) «**التشيع في سوريا ليس خرافة**»، بحث ميداني، بروفيسور خالد سنداوي، (2014).

(15) (ترجمة) «**من قتل رفيق الحريري؟**»، تحقيق استقصائي، نيل ماكدونالد، (2014).

تحت الإعداد:

(تأليف) حياتي في أرامكو: سيرة مهنية.

- (ترجمة) «بزوغ الإسلاموية في السعودية: مختارات من البحوث والدراسات مع ملاحق وثائقية نادرة».

تقريظ:
د. حمد العيسى... مُتَرْجِمًا

«أقرب مجاز لذهني هو أن أقول إنه كان اسمًا مائيًّا، من تلك الأسماء التي تلفت نظرك من دون أن تكون لك أية خلفية عن صاحبها، اسم/علامة بلا مرجعية ذهنية، ولكنه اسم يلاحقك ويلحق بك كل أسبوع، في حالتي اللافتة معه، هو د. حمد العيسى، وما كان ليكون لي مع الاسم وقفة لولا مقالات ينشرها في «الجزيرة الثقافية»، وفيها الذكاء والذوق في الاختيار، وهي تقوم على تصيد ماهر لمواد ثقافية يلتقطها بعين كعين الصقر ويتصيدها من فضاءاتها ويترجمها بدقة وحنكة، حيث يجمع بين طراوة المادة ونجاعة النقل في لغة هي تعريب وليست مجرد ترجمة. هنا بدأت تتشكل الصورة ولكن يظل الاسم مائيًّا يسبح ويتموج، ولكنه لا يكشف عن هويته، وما كنت أريد أن أعرف من هو

ولا ما هو، وكان ممتعًا لي أن يظل مائيًّا وتظل مقالاته تختال أمام ناظري كل أسبوع حتى لا تتركني أتشاغل عنها. ولكن الاسم أخذ يتحول عن مائيته ليتكتل في صورة تتوثق مع كل مرة أشير بها إلى صحبي أن يتوقفوا عند مقالات حمد العيسى، وما لبث أن وقعت يدي على كتب له مترجمة وحينها تحول الاسم إلى هوية وإلى صور ذهنية صارت تصنع بنيتها كتابًا إثر كتاب، وعرفت الكثير عن حمد العيسى، وجاءت صورة المثقف الحيوي الذي يُعمل وقته في لعبة ثقافية عمادها الذوق ودقة الاختيار؛ **وكما قال أبو تمام، فاختيار المرء جزء من عقله.** ولا شك أن حمد العيسى قد عرض عن نفسه عقلًا دلّت عليه مختاراته وبها شكل ذائقة لنفسه ثم لنصه ثم لقارئه، ولن يتخلى عن اسمه المائي، وهو ما يتموج به في ذاكرة كل من يقرأ له».

أ. د. عبد الله الغذامي
مفكر وناقد عربي بارز

«كل عمل جديد من مقالة أو كتاب يخرج علينا به د. حمد العيسى يثير فيَّ إعجابًا بمقدار الطاقة الهائلة الكامنة في هذا المبدع التنويري؛ فلا بد أن دهشة اكتشاف مادة جديرة بالقراءة تمر به تدفعه دفعًا إلى محاولة إيصال ما أدهشه إلى الآخرين. وجدت في متابعتي لما أصدره أديبنا الشاب إحساسًا عميقًا بالمسؤولية الاجتماعية تخرج في شكل ترجمات مدهشة كتعبير داخلي عن رغبة ملحة في تغيير أنماط تفكيرنا وإخراجنا من قوقعة المحلية إلى الفضاء الإنساني الواسع. حمد العيسى ليس مترجم كلمات من لغة إلى لغة أخرى فحسب، بل ما ينقله لنا من الإنجليزية إلى العربية يخلو من أي عجمة نلمحها في ترجمات كثيرة. ذلك لأن الترجمة عند هذا الأديب المجتهد، إبداع فني احترافي راقٍ، يوحي أن الموضوع المترجم قد تغلغل في وجدانه فيظهر علينا في صورة قد تكون أبهى وأكثر إثارة من النص الأصلي».

أ. عبد الله صالح جمعة
أديب ومترجم
الرئيس السابق لـ «أرامكو السعودية»

«عندما يبدأ المترجم في نقل المعنى من لغة إلى أخرى يشعر أن كلًّا منهما تقف كالطود الشامخ: أبيّة عصيّة. تستدعي عملية ترجمة النصوص جهدًا ومراسًا وحرفية عالية؛ فالتحدي الذي تواجهه هو تفكيك البنى والمكونات والخلفيات الثقافية من اللغة الأصل، ثم تحويلها إلى اللغة الهدف بما يناسب بُناها ومكوناتها وخلفياتها الثقافية. عندما تقرأ نصوصًا مترجمة للدكتور حمد العيسى تتعجب من قدراته الفائقة على دمج اللغتين تمامًا، حتى تغيب ملامح الأولى في الثانية، فبراعته تضيف إلى عناصر الجهد والمراس والحرفية عنصر الفن. تُقرأ نصوصه المعربة بسلاسة ويسر، لأنه لا يترجم فقط، بل يقوم بما يسمى ترجمة ابتكارية Transcreation أي النقل وإعادة الإنشاء سويًّا، فهو يبتكر من خلال الكتابة وكأنه صاحب نص أصلي، ثم يتدخل بشروح ومقدمات. أما اختياراته للمواضيع المترجمة، فهي دليل آخر على اطلاعه العميق وحسه الفني ومواكبته لمجريات الأمور في مجالات فنية وأدبية وسياسية واجتماعية وعلمية، ثم على حماسه لمشاركة القارئ في معارفه الواسعة».

د. لمياء باعشن
أستاذة النقد والأدب بقسم اللغات الأوروبية وآدابها
جامعة الملك عبد العزيز بجدة

«لعل أقربَ سمةٍ تلخصُ مسيرةَ الدكتور حمد العيسى الثقافية حيويتُه الذهنيةَ وتوقده الإبداعي؛ مترجمًا وباحثًا وساردًا تجعلُه يتسم حقيقة بوصف الـ «**عقل غير الهادئ**» الذي وسم كتابًا صدر ضمن ترجماته؛ فهو نشطٌ لا يسترخي، ومنتجٌ لا يتوقف، ومتابعٌ لا يكلّ، وهو ـ فوق هذه وإلى جانبها ـ صريحٌ في قوله، مباشرٌ في فعله؛ لم يُعرفْ مجاملًا أو مهادنًا، ولا يعنيه إن خسر موقعًا مادام قد كسب موقفًا. عرفتُ الدكتور العيسى عن بعد ثم تعاملتُ معه عن قرب، ووجدته «شخصًا ونصًا» ذا معرفةٍ معمقةٍ وحضورٍ عذب والتزامٍ وانتظام ودقةٍ تجعلُ العمل معه انسيابيًا وصداقته مريحة، وهو ما انعكس على ترجماته التي تتماهى مع أصولها في بيانها؛ فتشرق لغةً وعرضًا، وهو نفسُه ما يجعل البحثَ عن المترجم المتميز مطلبًا يوازي العناية بالكتاب المترجَم، وأحسب أن العيسى قد حقق المعادلةَ الصعبةَ التي بناها عبر تكامل ذاته المثقفة مع ذاته الإنسانية، وهذا الكتابُ نموذجٌ ضمن نماذجَ عديدة تؤكد السيرةَ والمسار».

د. إبراهيم بن عبد الرحمن التركي العمرو
كاتب وأديب
رئيس القسم الثقافي بجريدة «الجزيرة» السعودية

القسم الأول

التشيع في سوريا ليس خرافة

المؤلف في سطور



البروفيسور خالد سنداوي هو باحث وأكاديمي فلسطيني مرموق متخصص في الأدب العربي والدراسات الإسلاميّة بصورة عامة، أما التخصص الدقيق فهو «أدب الشيعة» والذي يعتبر من التخصصات النادرة في العالم. وهو من مواليد قرية الجشّ الفلسطينية في منطقة الجليل الأعلى عام 1965. ويعدّ السنداوي حاليًّا من دارسي الإسلام الشيعي البارزين والنادرين على الصعيدين العربي والعالمي من حيث عقيدة الشيعة وفكرهم وأدبهم. أصدر عشرة كتب آخرها وأهمها «معجم مصطلحات

الشيعة»، كما ألف ما يزيد على 60 مقالة علمية في تخصصه نشرها في مجلات عالمية محكمة. وكان قد حصل على شهادة الدكتوراه في عام 1999 عن أطروحته: «مقتل الحسين بن علي في الأدب الشيعي». وقد كتب البروفيسور السنداوي هذا البحث الذي نترجمه في هذا الكتاب بناء على جولة ميدانية قام بها بنفسه داخل سوريا كما سيلاحظ القراء حيث زار سوريا في أواخر عام 2008 وبداية عام 2009 أي قبل الحرب الأهلية بسنوات حيث تجول في المحافظات التي دخلها التشيع وتحدث مع أعيانها ورصد الأساليب والحكايات ليكتب هذا البحث النادر والفريد من نوعه من قلب الحدث.

تمهيد

لم يكن في سوريا قط نسبة كبيرة من السكان الشيعة، ولكن في السنوات الأخيرة أصبح هناك زيادة في حالات التحول إلى المذهب الشيعي (أي التشيع) ضمن السكان السوريين السُّنة، والإسماعيليين والعلويين. وقد أدى القرب الجغرافي لسوريا مع إيران دائمًا إلى درجة معينة من النفوذ الإيراني في سوريا، والذي زاد كثيرًا مع وصول بشار الأسد إلى السلطة في عام 2000، بعد وفاة والده حافظ. تشجيع الحكومة السورية للنشاط التبشيري الإيراني قد يكون السبب الرئيس للزيادة في التشيع، ولكنه ليس السبب الوحيد؛ فمن العوامل الأخرى التي يجب أخذها بعين الاعتبار كما سنشرح لاحقًا:

(أ) وجود سكان شيعة «أصليين» ومزارات شيعية تاريخية في أنحاء مختلفة من سوريا.

(ب) طبيعة طقوس التعبد الشيعي.

(ج) قوة وسائل الإعلام الشيعية.

(د) الانتصار «المُتوهم» لحزب الله في حرب لبنان عام 2006.

(هـ) التودد الاستراتيجي لبعض السوريين النافذين.

(و) الإغراءات الاقتصادية والتعليمية للفقراء.

(ز) هيمنة الطائفة العلوية السياسية.

ليس من السهل الحصول على إحصاءات دقيقة حول تعداد مختلف الطوائف الدينية في سوريا بسبب حساسية النظام العلوي تجاه المسائل التي من هذا النوع. **تقرير الحريات الدينية الدولية لعام 2006**، الذي تنشره وزارة الخارجية الأميركية، أشار إلى أن الأقليات الإسلامية العلوية والإسماعيلية والشيعية وغيرها يشكلون 13 في المئة من سكان سوريا، أي حوالى 2.2 مليون شخص من مجموع السكان البالغ عددهم 18 مليون نسمة.

ويشير تقرير آخر بعنوان «الطوائف الدينية والمذاهب والمجموعات العرقية» الذي نُشر في عام 2005، من قبل **مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية**

في القاهرة، إلى أن الشيعة يشكلون 1 في المئة من سكان سوريا، بينما يشكل العلويون 8-9 في المئة. وتزعم مواقع شيعية على الإنترنت أن الشيعة السوريين يشكلون 2 في المئة من سكان ذلك البلد.

إضافة إلى الشيعة الأصليين، تستضيف سوريا أيضًا جالية من المهاجرين الإيرانيين الشيعة الذين يقيمون بصورة رئيسة في دمشق، فضلًا عن عدد كبير من الشيعة العراقيين الذين وصلوا خلال السبعينيات والثمانينيات بسبب السياسات القمعية للنظام العراقي السابق. وزاد عدد السكان من الشيعة العراقيين كذلك في أعقاب غزو العراق عام 2003.

وبشكل عام ليس هناك تمييز اجتماعي ضد الشيعة في سوريا؛ فهم مجموعة مندمجة اجتماعيًّا ويتزاوجون بسهولة مع الطوائف المسلمة الأخرى. العدد الصغير للشيعة في سوريا قد يفسر ـ جزئيًّا ـ لماذا لم يصنعوا «خصوصية طائفية» مثل التي شهدتها دول أخرى في المنطقة. الشيعة يعيشون في معظم المحافظات السورية، مع وجود أعلى نسبة في طرطوس، وهي المحافظة التي يوجد فيها 44 في

المئة من السكان الشيعة في البلاد. وقد وصل بعض الشيعة إلى مناصب رفيعة في سوريا، بينهم **مهدي دخل الله**، وزير الإعلام الأسبق، **وصائب نحاس**، وهو رجل أعمال بارز. الأسر الشيعية الأكثر شهرة في البلاد تشمل: **آل نظام، آل مرتضى، آل بيضون، وآل روماني**.

شيعة سوريا لا يتبعون مرجعًا واحدًا للتقليد. البعض يتبعون آية الله علي السيستاني في النجف ـ العراق. وآخرون يتبعون آية الله علي خامنئي، وهو أعلى سلطة دينية في إيران، وآخرون [كانوا] يتبعون السيد محمد حسين فضل الله في لبنان.

العامل العلوي

ما الذي يفسر المعاملة التفضيلية نسبيًّا للشيعة في سوريا؟ لقد كان وضعهم الإيجابي موجودًا حتى قبل مجيء حكومة بشار الأسد، والتي اتخذت موقفًا أكثر إيجابية تجاه إيران والتشيع علنًا. منذ عام 1963، حكمت سوريا من قبل النظام البعثي الذي تهيمن عليه الطائفة العلوية، والتي لديها صلات مع

التشيع. حزب البعث الحاكم كان يدرك دائمًا موقفه غير الآمن، لكونه في الجوهر يمثل طائفة صغيرة تنتمي للأقلية العلوية، ولذلك حاول الحفاظ على التوازن بين ادعاء الانتماء إلى المذهب الشيعي الاثني عشري المعترف به، ولكن من دون فقدان الهوية العلوية العرقية والثقافية، وكذلك عقائد وممارسات مذهبهم السرية. ولذلك فقد قام الحزب باتخاذ سياسات تهدف إلى إضفاء الشرعية على العقيدة العلوية، التي أدت دورًا مهمًّا في صياغة السياسات السورية تجاه الشيعة.

وكانت أحد أهم نتائج الهيمنة السياسية للعلويين هي الأهمية التي توليها سوريا لعلاقاتها مع الشيعة في لبنان وإيران. وكانت هذه العلاقات من وقت إلى آخر تتعزز بفضل العلاقات الشخصية مع زعماء لبنان الشيعة. كان هذا ينطبق بشكل خاص على السيد موسى الصدر في بداية السبعينيات. كما قدمت سوريا تنازلات خاصة لقادة المعارضة الإيرانية قبل ثورة الخميني.

وكان القانون في ظل نظام سياسي قائم على

الحزب الواحد في سوريا يحظر إنشاء الأحزاب السياسية التي لها أيديولوجية تتعارض مع حزب البعث الحاكم.

وأصرّ النظام الاستبدادي في سوريا على إبقاء الدين بعيدًا عن السياسة كما تبين للإخوان المسلمين في 2 فبراير/شباط 1982، عندما تمردوا على الحكومة السورية. اعتقلت الحكومة السورية 20,000 سجين سياسي من جماعة الإخوان المسلمين وقتلت منهم 10,000 شخص، ووضعت منهم على القائمة السوداء 600,000 شخص.

هذه الإجراءات تساعد على تفسير سبب عدم تأسيس الشيعة أية منظمات سياسية خاصة بهم، ومحافظتهم على مسافة ما بعيدًا عن السياسة وتقييد عملهم في المسائل الدينية.

تمت المحافظة على الحقوق الدينية الشيعية، وعلى الرغم من الأيديولوجية العلمانية للنظام، إلا أنه يسعى إلى ضمان ولاء المؤسسات الدينية المختلفة في البلاد، وربما التعويض عن النقص العام للتأييد الشعبي الحقيقي.

نتائج مسح استطلاعي أوروبي

أجريت دراسة ميدانية رائدة ممولة من الاتحاد الأوروبي في الأشهر الستة الأولى من عام 2006، ونتج منها بيانات مفيدة عن المشهد الديني السوري. لقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن المحافظات ذات الأغلبية العلوية كانت تضم أعلى نسبة مئوية للمتحولين إلى المذهب الشيعي مقارنة بالمحافظات الأخرى.

ووفقًا لهذه الدراسة، فإن توزيع المتحولين إلى المذهب الشيعي (المتشيعين) بين «العلويين» في مختلف المحافظات هو على النحو التالي:

- طرطوس 44 في المئة، (44 في المئة من «مجموع» المتشيعين من الطائفة العلوية هم في طرطوس)
- اللاذقية 26 في المئة، (26 في المئة من «مجموع» المتشيعين من الطائفة العلوية هم في اللاذقية)
- حمص 14 في المئة، (14 في المئة من «مجموع» المتشيعين من الطائفة العلوية هم في حمص)

- حماة ودمشق: 16 في المئة.
- المجموع = 100 في المئة

وأما النسب المئوية للمتحولين إلى المذهب الشيعي بين «السنة» في مختلف المحافظات فهي على النحو التالي:

- حلب 46 في المئة، (46 في المئة من «مجموع» المتشيعين من أهل السنة هم في حلب).
- دمشق 23 في المئة، (23 في المئة من «مجموع» المتشيعين من أهل السنة هم في دمشق).
- حمص 22 في المئة، (22 في المئة من «مجموع» المتشيعين من أهل السنة هم في حمص).
- حماة 5 في المئة، (5 في المئة من «مجموع» المتشيعين من أهل السنة هم في حماة).
- إدلب 4 في المئة. (4 في المئة من «مجموع» المتشيعين من أهل السنة هم في إدلب).
- المجموع = 100 في المئة.

أما نسب المتحولين (المتشيعين) في محافظات دير الزور والرقة والقنيطرة فهي صغيرة جدًّا لدرجة يمكن اعتبارها صفرًا.

أما بين «الإسماعيليين»، فإن نسب المتحولين في مختلف المحافظات على النحو التالي:

- حماة: 51 في المئة، (51 في المئة من «مجموع» المتشيعين الإسماعيليين هم في حماة).
- طرطوس: 43 في المئة، (43 في المئة من «مجموع» المتشيعين الإسماعيليين هم في طرطوس).
- حلب: 3 في المئة، (3 في المئة من «مجموع» المتشيعين الإسماعيليين هم في حلب).
- دمشق: 2 في المئة، (2 في المئة من «مجموع» المتشيعين الإسماعيليين هم في دمشق).
- إدلب: 1 في المئة. (1 في المئة من «مجموع» المتشيعين الإسماعيليين هم في إدلب).
- المجموع = 100 في المئة.

وبالإجمال فإن معدل التحول من المذهب السني إلى المذهب الشيعي منخفض جدًّا، حيث يقدر بـ 2

في المئة من مجموع المتشيعين بشكل عام(*). وربما لا تكون هذه النسبة القليلة مستغربة، فنحو 7 في المئة من المسلمين السنة الذين تحولوا في منطقة دمشق ينتمون إلى أسر سورية كانت في الأصل شيعية ولكنهم أصبحوا سنة مع مرور الزمن، مثل عائلات: آل عطار، آل قصاب، آل حسن، آل لحام، آل بختيار، آل اختيار. وفي حلب، 88 في المئة من السنة المتشيعين كانوا من مثل هذه العائلات ذات الأصل الشيعي.

ووفقًا لدراسة الاتحاد الأوروبي، فإن الحالات المعروفة للسنة الذين تشيعوا لا يمكن أن يُعزى تشيعهم لأسباب اجتماعية أو اقتصادية عادية وطبيعية في أي من الطوائف؛ ففي دمشق، على سبيل المثال، 64,4 في المئة من المتحولين للمذهب الشيعي ينتمون إلى أسر ذات مداخيل متوسطة/ مرتفعة من فئة التجار والمهنيين. الغالبية العظمى منهم (69 في المئة) حاصلة على الأقل على شهادة الثانوية العامة. وفي

(*) أي إن 98 في المئة من مجموع السورين المتشيعين هم من الطوائف غير السنية. (العيسى).

حلب، أيضًا، وُجد أن 61 في المئة من المتحولين جاؤوا من الطبقات المتوسطة أو العليا. وبين الفقراء كان 39 في المئة من المتحولين ينتمون إلى عائلات ذات أصل شيعي سابق (وبالتالي يكونون قد «جدّدوا» انتماءهم الشيعي)؛ ولذلك من المحتمل أن تحولهم له أسسه الدينية. وبين السنة، كانت نسبة المتحولين لأسباب مالية (في جميع المحافظات التي شملتها الدراسة) لا تتعدى 3 في المئة.

ووفقًا للدراسة، فإن التحولات نادرًا ما حدثت لأسباب مالية نفعية، باستثناء عدد قليل من المتحولين السنة، وخاصة بعض طلبة الجامعات، الذين قالوا إنهم غير متدينين على الإطلاق، ولكنهم قرروا التشيع «من أجل الحصول على ما يكفي من المال لإنهاء دراستهم أو للزواج، مع تأكيدهم أن أيًّا من المذهبين السني والشيعي لا يعنيان لهم شيئًا». **وأكدت نتيجة أخرى للدراسة وجود نسبة قليلة جدًّا من المتحولين السنة، الذين زعموا أنهم تشيعوا بعد حرب لبنان عام 2006 وذلك «بدافع الحب لحزب الله وحسن نصر الله».**

أما بالنسبة إلى تحول العلويين في جميع المحافظات السورية، فقد وجدت الدراسة أنه بخلاف السُّنة، كانت الغالبية العظمى (حوالى 76 في المئة) من الطلاب أو العاطلين عن العمل. وكذلك أكد رجل دين علوي في طرطوس تحول بعض العسكريين، وشهادته مهمة، لأن المعلومات الرسمية عن العسكريين ليس من السهل الحصول عليها. وكانت الأغلبية الساحقة (84 في المئة) من المتحولين الإسماعيليين، مثل المتحولين السُّنة، من أسر من الطبقة الوسطى/ العليا.

وتوصلت دراسة الاتحاد الأوروبي إلى أنه إذا استمر المعدل الحالي للتشيع بين الإسماعيليين والعلويين في سوريا بلا انخفاض، فإن الطائفة الأولى ستنقرض في سوريا في غضون عشر سنوات، والثانية خلال ربع قرن.

وكما سنشرح هنا لاحقًا، فإن هناك أدلة حكائية(*) كثيرة من مختلف محافظات سوريا، تشكك في الاستنتاجين الأول والثاني أعلاه.

(*) أدلة حكائية Anecdotal Evidence : أي حكايات موثوقة متناقلة بين الناس في المجالس. (العيسى).

المزارات الشيعية في سوريا

هناك العديد من المزارات الشيعية الدولية المهمة التي تعتبر بمثابة مراكز مهمة للوجود الشيعي في سوريا وتجذب كذلك آلاف الزوار من الخارج. المزارات تمول نفسها ماليًّا وتتبع وزارة الأوقاف. ولكن بالرغم من ذلك، استغلت إيران هذه الفرصة لبسط نفوذها في سوريا عن طريق تمويل مشاريع لتطوير بعض هذه المواقع.

الشيعة السوريون الأصليون يعيشون غالبًا في أحياء مختلفة من العاصمة نفسها، وكذلك في عدد قليل من البلدات والقرى في محافظتي حمص وحماة. معظم الشيعة العراقيين في سوريا يقيمون في منطقة السيدة زينب إلى الجنوب من العاصمة دمشق، وهي المنطقة التي نمت حول واحد من أهم المزارات الشيعية: قبر زينب حفيدة [بل ابنة] علي بن أبي طالب (ر). مقام السيدة زينب هذا، والذي تُستخدم مرافقه للمحاضرات والاحتفالات الدينية، وكذلك لتوزيع المطبوعات الدينية التبشيرية الشيعية، هو أكبر مركز شيعي في سوريا. إضافة إلى ذلك،

يزور العديد من الحجاج الإيرانيين المقام. ومن اللافت زيادة عدد الحجاج الإيرانيين بصورة فلكية من العام 1978، إلى العام 2003. وجلبت هذه الزيادة ـ بالطبع ـ زيادة في النفوذ الإيراني في سوريا.

مزار السيدة رقية، هو ثاني أهم مزار شيعي من حيث عدد الزوار في سوريا. ونظرًا إلى موقعه المركزي داخل العاصمة، فإنه يجلب الحشود الكبيرة للصلاة العامة اليومية وصلاة الجمعة الأسبوعية. ويعتبر إمام المسجد السيدة رقية، الشيخ نبيل الحلباوي، واحدًا من الشخصيات الشيعية البارزة في سوريا.

وفي بعض الأحيان أدى وجود الأضرحة الشيعية في سوريا إلى تدخل إيراني نتج منه احتكاك. ففي بداية التسعينيات شيد الإيرانيون على قبر السيدة سكينة، الواقع في مقبرة «الباب الصغير» في دمشق، قبرًا كبيرًا فوق القبر القديم. لقد اشتروا الأراضي التي حوله لبناء فناء كي يستوعب الحجاج الإيرانيين الذين كانوا بالمئات ثم أصبحوا بالآلاف والذين بدأوا يحجون للموقع الذي أصبح الآن

يسمى بـ «مقام السيدة سكينة»، حفيدة الإمام علي بن أبي طالب(ر). **وبعد أن اشتروا الأرض، بدأ الإيرانيون أيضًا ببناء حسينية كبيرة جدًّا على الأراضي التي اشتروها.**

المبنى الكبير في داريا، القريب جدًّا من دمشق للغاية، لا يزال قيد الإنشاء، ولكن المحلات التجارية والمباني السكنية التي أنشئت من حوله بدأت تعمل، وكذلك الفنادق، استعدادًا لإنشاء مركز شيعي في مدينة داريا. وقام مسؤولون إيرانيون بارزون بزيارة الموقع للتعبير عن دعمهم لهذا المشروع. أحدث وأبرز هؤلاء الزوار كان الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد بنفسه، الذي وصل الموقع خلال زيارته الأخيرة إلى سوريا، في 20 يناير/ كانون الثاني 2006.

كان سكان البلدة على بينة بالخطط الإيرانية لمدينتهم واحتجوا لدى رئيس البلدية، الذي كان يؤيدهم. ولكن النظام السوري، وبخاصة أجهزته الأمنية، اتخذوا موقفًا قاسيًا من السكان، وطُرد رئيس البلدية المتعاطف معهم، وعُين آخر. وأبلغ رئيس البلدية الجديد أهالي البلدة أنه لا يمكن أن

يفعل شيئًا لأن الأمن هدّد بعواقب وخيمة على المدينة بأكملها إذا استمر سكانها في الاحتجاج على المشروع الإيراني. اللوحات التي على الضريح والمحلات كلها باللغتين العربية والفارسية. ونتيجة لهذا التطور في المنطقة، ارتفعت أسعار أراضي وإيجارات المحلات التجارية بصورة فلكية.

التاريخ السابق للتشيع في سوريا

التشيع له تاريخ طويل في سوريا يرجع إلى القرن السابع الميلادي، على الرغم من أنه لم يصبح سائدًا هناك إلا في القرن العاشر الميلادي. وواصلت العقيدة الشيعية الانتشار خلال فترة صعود الدولة الفاطمية الإسماعيلية الشيعية (969-1172م)، والتي حكمت مصر ثم بسطت سيطرتها على سوريا خلال القرن الحادي عشر الميلادي. ولكن لاحقًا، بدأ التشيع في سوريا يزول بسبب محاربة السلالة الأيوبية (1171-1250م) له وفي ما بعد محاربة الدولة العثمانية (1517-1798م) له. وبحلول أوائل العصر الحديث أصبح معتنقو المذهب الشيعي الاثني عشري في سوريا أقلية هامشية.

أول وأبرز عالم شيعي حديث عمل على نشر التشيع في سوريا كان العالِم عبد الرحمن خير (م. 1925)، ولكن لم تتشيع أعداد كبيرة إلا بسبب أنشطة جميل الأسد المكثفة ، الشقيق المتدين للرئيس السوري الراحل حافظ الأسد، وذلك خلال الثمانينيات.

موسى الصدر: بدايات الاتجاه إلى التشيع

ويمكن تتبع بدايات الاتجاه إلى التشيع في الماضي إلى زيارة موسى الصدر في عام 1974، لشيوخ الطائفة العلوية في جبال اللاذقية في المنطقة الساحلية من البلاد. وقد سبقه آية الله الشيرازي، الذي أصدر الفتوى الشهيرة والتي تفيد أن أهل تلك المنطقة ينتمون إلى الشيعة الاثني عشرية. وبدأ جميل الأسد بتشجيع التحول إلى المذهب الشيعي في المنطقة نفسها، وبخاصة بين أعضاء الطائفة العلوية. لقد بعث مجموعات من العلويين إلى إيران لدراسة المذهب الاثني عشري، وبعد عودتهم إلى سوريا نشروا العقيدة الشيعية بين زملائهم العلويين. وبنى جميل الأسد، حسينيات في الجبال، حيث لم

يكن هناك من قبل سوى أضرحة علوية. ومن أجل جعل التشيع أكثر قبولًا لدى الناس هناك عين شيخًا شيعيًّا كإمام لمسجد الزهراء العلوي في مدينة بانياس على الساحل السوري.

وبعد وصول حافظ الأسد إلى السلطة في عام 1970، أعرب بعض كبار رجال الدين السُّنة عن معارضتهم لرئاسته بسبب كونه علويًّا. ولكنه تعامل معهم بدهاء حيث بدأ بحضور الصلوات في المساجد السنية، وأقام حفلات الإفطار خلال شهر رمضان لرجال الدين السُّنة.

وعمل حافظ على أن يقوم شقيقه جميل بتأسيس جمعية المرتضى العلوية وهي جمعية خيرية طائفية تصبو إلى تنصير أبناء السنة ، أي دعوتهم لاعتناق النصيرية وهو المسمى الأصلي للطائفة العلوية ، مع فروع في جميع أنحاء سوريا. أنشأ حافظ الأسد جمعية المرتضى من أجل إظهار أن العلويين ينتمون إلى المجتمع الأكبر من الشيعة وليسوا أقلية.

وبعد بعض البحث العميق، طلب حافظ الأسد من آية الله محمد حسين فضل الله، أن يعمل في سوريا. افتتح فضل الله مكتبًا في حي السيدة زينب

في دمشق، وبدأ التلفزيون السوري لاحقًا ببث برامج للمبشر الشيعي العراقي عبد الحميد المهاجر. ولكن بعد وصول بشار الأسد إلى السلطة في عام 2000، تضاءل تأثير فضل الله إلى حد ما وحلّت مكانه السفارة الإيرانية من خلال الملحق الثقافي في حلب.

وعلى الرغم من أن الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد، كان على تحالف استراتيجي مع إيران، إلا أنه لم يسمح لمبادئ الثورة الإيرانية بالتغلغل في سوريا. وفي الواقع، لقد قام بمنهجية وحزم بتقييد الوجود الإيراني، وذهب في بعض الأحيان إلى حدِّ إغلاق مؤسسات ممولة من قبل إيران، بما في ذلك العيادات. وحاول الإيرانيون الدخول إلى المناطق التي يسكنها العلويون من خلال استغلال الانتماءات الدينية المشتركة معهم، ولكن الرئيس السوري الأب اتخذ عددًا من الخطوات داخل وخارج مجتمع الطائفة العلوية للتأكد من أن محاولة إيران لاختراق سوريا لن تنجح. وأمر الرئيس أيضًا مفتي سوريا، أحمد كفتارو، بإنشاء مدارس للدراسات القرآنية في جميع أنحاء سوريا،

بما في ذلك في المناطق ذات الأغلبية العلوية في البلاد. وسميت هذه المدارس بـ «**معاهد الأسد لتحفيظ القرآن الكريم**». كما منع أيضًا إرسال الطلاب لدراسة الدين في إيران.

زيادة النفوذ الإيراني في سوريا

عندما أصبح بشار الأسد رئيسًا، بدأ التوازن الذي وضعه والده بخصوص النشاط الإيراني في التحول لصالح النفوذ الإيراني والتشيع. وشنت حملات بين السوريين السُّنة العاديين لتشجيعهم على اعتناق المذهب الشيعي.

شائعة: تشيع المفتي أحمد بدر الدين حسون

واتهمت مصادر حكائية عديدة الدكتور أحمد بدر الدين حسون، مفتي سوريا، بأنه تحول سرًّا إلى المذهب الشيعي. وقد سُمعت الكثير من مثل هذه الاتهامات في أعقاب خطبته في يوم عاشوراء [عام 2008]؛ في تلك الخطبة قال العديد من العبارات المتعاطفة مع عقيدة الشيعة، متهمًا كل الخلفاء المسلمين، من معاوية ومن تلاه بالكفر، ومشيرًا إلى

أن عليًّا (ر) كان معجزة الله لمخلوقاته وأن وجود أسرة النبي ﷺ يكفل العدالة والسلام في العالم.

وسائل الإعلام السورية تروج للتشيع

وقد جرت تحت حكم بشار الأسد الكثير من التغييرات في الدعاية الرسمية، على النحو الواضح في برامج القنوات التلفزيونية المحلية والفضائية ومحطات الراديو المتاحة في سوريا. السوريون أيضًا يمكنهم رؤية بعض الشبكات الأجنبية مثل قناة المنار التي تبث من لبنان وتعزز التشيع في سوريا وأماكن أخرى. وهناك أيضًا عدد من القنوات المحلية التي تبث الأفكار الشيعية، والصور والمحاضرات والتفسير القرآني، وتبث علنًا المحتوى التبشيري. التلفزيون السوري يقدم أسبوعيًّا (على الأقل) برنامجًا لمدة ساعة للمبشر الشيعي عبد الحميد المهاجر. كما يبث برنامجًا تبشيريًّا للعراقي عبد الزهراء، وبخاصة خلال شهر رمضان، عندما يفسر الآيات القرآنية ويلي ذلك أناشيد في مدح أهل البيت. مصدر آخر للمواد الشيعية هو محطة راديو إف إم، التي تبث مواد فكرية وسياسية مماثلة لمواد

حزب الله في لبنان، و«المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق».

كما يشجع نظام بشار الأسد على ظهور شيوخ موالين لإيران في وسائل الإعلام على حساب رجال الدين السنة. ويستخدم رجال الدين الشيعة وسائل الإعلام الرسمية لإعطاء دروس محتواها جدلي ويثير الخلاف بين السنة والشيعة (مثل: موقفهم تجاه صحابة النبي ﷺ). وقد أدت المواقف التي اتخذها الشيوخ الشيعة لردود فعل حادة جدًّا، وخصوصًا في دمشق ولكن في مناطق أخرى أيضًا، مثل حلب وضواحيها.

وتشير تقارير إلى أن هناك اليوم أكثر من خمس مئة حسينية قيد الإنشاء في سوريا. ووفقًا لمصادر أخرى، فإن هذا الرقم يتعلق فقط بدمشق. إضافة إلى ذلك، فإن نظام بشار يمنح الجنسية لآلاف الشيعة الإيرانيين، وكذلك الشيعة العراقيين الموالين لإيران. ووفقًا لبعض المصادر، فقد منحت الجنسية السورية لعشرين ألف إيراني. ولكن هناك من شكك بهذا الرقم من رجال الدين السُّنة السوريين.

تجنيس الإيرانيين
وحرمان الأكراد السوريين من الجنسية

وبينما منح النظام السوري الجنسية السورية لآلاف الإيرانيين، فقد رفض النظام منح الجنسية للمواطنين الأكراد السوريين على الرغم من مطالباتهم المستمرة طوال أربعين عامًا!(*) كما يدعم النظام السوري إيران في قمعها لبدو الأحواز العرب في إيران (على الرغم من أنهم من الشيعة أيضًا). وأشارت تقارير صحافية في أكتوبر/ تشرين الأول 2007، أن النظام السوري قد سلم إلى حكومة طهران عددًا من الأحوازيين المعارضين للنظام الإيراني.

ويشير مراقبون إلى أن العلاقات الحميمة بين سوريا وإيران، وبخاصة منذ عقد التحالف الاستراتيجي في عام 1980، قد مكنت إيران من

(*) وعندما جرت بعض حالات التجنيس التي ربما كانت غير مبررة ومشكوك في دوافعها في مملكة البحرين قامت الدنيا ولم تقعد!! فعلا صدق الشافعي:

وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيب كليلةٌ
وَلَكِنَّ عَينَ السُّخْطِ تُبْدي المَسَاوِيا

(العيسى).

العمل بحرية في الأراضي السورية. وهكذا يحضر كبار المسؤولين السوريين والإيرانيين مختلف الاحتفالات التي تنظمها السفارة الإيرانية في دمشق مثل الأعياد الوطنية الإيرانية، والذكرى السنوية للثورة الإيرانية، والأعياد الدينية، مثل مقتل الحسين في يوم عاشوراء.

دعوات مجانية لأعيان سوريا لزيارة طهران

ويتلقى رؤساء القبائل وكذلك عدد من الأعيان في سوريا، وبخاصة في منطقة الرقة، دعوات من قبل السفير الإيراني لزيارة إيران مجانًا، بما في ذلك أساتذة الشريعة السُّنة في الكليات الدينية. وقام برحلة إلى إيران مجموعة من زعماء القبائل برئاسة حامد الجربا، شيخ قبيلة شمر، وفيصل العارف، شيخ قبيلة خفاجة، وعواد العواملة، شيخ قبيلة آل وهب من بلدة البويهج. هؤلاء الزوار يعودون إلى سوريا محملين بالهدايا وجيوبهم منتفخة بالمال(*).

(*) ومن الطريف أن هذه الكلمات الثلاث الأخيرة (جيوبهم منتفخة بالمال) قادتني لكشف سرقة فكرية بطلها الكاتب =

الإغراءات المالية تؤدي دورًا ملحوظًا في ترويج التشيع الإيراني. الفقراء، على سبيل المثال، يتمّ إعطاؤهم القروض باسم التضامن الإسلامي، وفي نهاية المطاف يقال لهم إنه لا داعي لإعادتها. وبالمثل، يتمّ توفير الرعاية الطبية المجانية في المستشفيات الخيرية الإيرانية في سوريا، مثل مستشفى الإمام الخميني في دمشق ومستشفى الهلال الأحمر والمستشفى الخيري في مدينة حلب.

ويقدم المبشرون الشيعة السوريون والإيرانيون في بعض الأحيان المال للناس، أو يعرضون مساعدتهم في المعاملات التجارية أو الرسمية. وعادة ما تقدم مثل هذه الإغراءات إلى وجهاء ورؤساء العشائر، وخصوصًا في المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات، حيث تعتبر هذه الطريقة مجرد استمرار

= السوري محمد الحسناوي الذي لطش بحث البروفيسور سينداوي هذا وأعاد صياغته مع بعض الإضافات الهامشية من مواقع إخبارية ونشره بجرأة لا يحسد عليها في مقال بعنوان (النفوذ الإيراني في سورية) على «موقع أدباء الشام». انظر الرابط: http://www.odabasham.net/show.php?sid = 4997 (العيسى).

للأسلوب العراقي للسيطرة على الناس من خلال رؤساء القبائل والعشائر. وهناك طريقة أخرى لتشجيع التشيع وهي من خلال تزويجهم أو تزويدهم بالضروريات الأساسية مثل الزيت والسكر والأرز والزبدة.

وقد استورد نظام الأسد أيضًا ميليشيا إيرانية خاصة مهمتها حماية النظام. وتتألف الميليشيا من حوالى 3,000 جندي إيراني، وكذلك عدد من وحدات من الحرس الثوري الإيراني المتخصصة في حرب المدن. هذه القوات تعمل جنبًا إلى جنب مع الحرس الجمهوري السوري، برئاسة ماهر الأسد.

ووفقًا لعدد من المصادر، فإن أولئك الذين يبدون معارضة للنشاطات الدينية والسياسية التبشيرية التي تقوم بها المنظمات الإيرانية ـ وبخاصة في محافظة الرقة السورية ـ وأولئك الذين يجرؤون على التعبير عن معارضتهم لتحويل بعض البدو الفقراء إلى المذهب الشيعي، يزعمون بأن العديد من القبائل البدوية تحولت إلى المذهب الشيعي بسبب إغراءات مالية.

هؤلاء المعارضون يشهدون أن الحكومة السورية والنشاط التبشيري الإيراني استغل فقر البدو وجهلهم لتحويلهم إلى المذهب الشيعي. في محافظة الرقة، كان المعارضون عرضة للاعتقال من قبل قوات الأمن السورية واتهامهم بأنهم من الوهابيين أو الأصوليين.

دور التعليم:
منح دراسية مجانية للدراسة في قم وطهران

التعليم هو أداة أخرى تستخدم من قبل حكومة الأسد لترويج التشيع وتقوية العلاقات مع إيران؛ فعلى سبيل المثال، في بداية العام الدراسي 2006-2007، تم افتتاح كلية دينية شيعية في بلدة **الطبقة** التحق بها أكثر من مئتي طالب. لم يجد الشيعة أي صعوبة في الحصول على رخصة لفتح هذه الكلية، بالرغم من أنه لا يوجد في سوريا بأكملها سوى كليتين دينيتين سُنيتين، واحدة في دمشق والأخرى في حلب. وكان على الأخيرة الانتظار عدة عقود للحصول على الرخصة، التي جاءت أخيرًا في عام 2007. وتشير مصادر حكومية بأن إيران حصلت

على إذن من السلطات السورية لتأسيس جامعة إيرانية كبيرة تحتوي على العديد من الكليات.

وتقدم منح دراسية مجانية للدراسة في قم وطهران، وبخاصة لطلاب الدراسات العليا الذين يتم اختيارهم لخلفيتهم الأكاديمية أو الاجتماعية. هذه المؤسسات تمنح معاملة تفضيلية للطلاب الذين يؤيدون السلطات. يتمّ إعطاء مثل هؤلاء الطلاب فرص عمل، كما حدث مع مفتي سوريا، أحمد حسون، وغيره. **ويسمح لبعض الطلاب بالدراسة في الحوزة العلمية لمقام السيدة زينب، حيث لا يدفعون رسومًا دراسية بل يحصلون على راتب شهري من دون قيد أو شرط. وقد تمّ فتح مكتبات، تدعى حوانيت من قبل الإيرانيين في جميع المراكز الشيعية في سوريا**. هذه المكتبات توزع الكتب الإيرانية مجانًا وتعطي جوائز (1,000 ليرة سورية) لكل من يقرأ كتابًا شيعيًّا من الناس.

كل هذه التدابير تشجع على دراسة المذهب الشيعي. ولكن قد تكون وزارة التربية السورية قد بالغت، عندما أصدرت حظرًا على التعليم الابتدائي في المؤسسات الدينية السنية التعليمية. وأعلن علماء

الدين السنة، وبخاصة «رابطة العلماء السوريين»، أن هذا الحظر يشكل خطوة قمعية؛ ففي البداية، وبالرغم من التوترات الأولية التي أثارتها هذه الخطوة داخل مجلس الوزراء السوري، إلا أن النظام لم يفعل شيئًا لتخفيف حالة التوتر. لا بل التقت رابطة العلماء مع الرئيس بشار الأسد نفسه لمناقشة الوضع، ولكنه رفض إلغاء قرار وزيره. ولكن في نهاية المطاف بعد الاضطرابات الداخلية الأخيرة في سوريا ووصول النزاع بين القيادة السنية السورية والمؤسسات الإيرانية إلى ذروته، قرر النظام السوري التراجع عن قرار إلغاء التعليم الابتدائي في المؤسسات الدينية السنية التعليمية.

تأثير النصر المتوهم
في حرب يوليو/تموز 2006
على التشيع في سوريا

عند تأمل عملية التشيع في سوريا حاليًّا، من المستحيل تجاهل دور حزب الله، المنظمة الشيعية اللبنانية ذات العلاقات الأيديولوجية والاستراتيجية مع إيران. عندما كانت سوريا تسيطر على لبنان

قدمت لحزب الله الدعم السياسي والعسكري، وأصبح حزب الله بالتالي حليف سوريا الرئيس في لبنان.

أدت حرب الأيام الـ 33 بين إسرائيل ولبنان في صيف عام 2006، إلى موجة من الإعجاب بين السوريين لزعيم حزب الله السيد حسن نصر الله، ومنظمته، بسبب مقاومتهم الباسلة ضد إسرائيل. ونتيجة لذلك، أصبح التشيع ينظر إليه بصورة أكثر إيجابية، وتحول عدد أكثر من السُّنة السوريين إلى المذهب الشيعي.

وأدت إنجازات وانتصارات حزب الله «المُتَوَهمة» و«الدعائية» أيضًا إلى زيادة في النشاط الإيراني. ويقول رجل الدين الشيعي الشاب مصطفى السادة، الذي يملك اتصالات عديدة مع السُّنة: «لقد خدم جورج بوش العرب ووحدهم». وأضاف السادة، إنه يعرف 75 شخصًا سُنيًّا في دمشق اعتنقوا المذهب الشيعي منذ بداية الأعمال العدائية في لبنان في يوليو/ تموز 2006، وأن الحرب أعطت زخمًا إضافيًّا إلى الاتجاه المتزايد في السنوات الأخيرة للتشيع.

فعلى سبيل المثال يقول وائل خليل، وهو طالب في الحادية والعشرين يدرس القانون الدولي في جامعة دمشق: «لأول مرة في حياتي أشاهد حربًا ينتصر فيها العرب». ولاحقًا بدأ خليل، وهو سني، يؤدي الصلاة بحسب الطريقة الشيعية، وقال إنه يخطط ليتحول تمامًا إلى المذهب الشيعي.

ومنذ تلك الحرب، أصبحت صور حسن نصر الله وخامنئي الأكثر عرضًا في سوريا من بين الزعماء السياسيين الآخرين في المنطقة. وسيشاهد أي شخص يمشي في شوارع دمشق اليوم صورًا للرئيس بشار الأسد وإلى جانبها صورًا لزعيم حزب الله. يتم عرض هذه الصور على واجهات المتاجر والسيارات الخاصة والحافلات والجدران. **ويشير بعض المثقفين السوريين المحليين أن هذه الصور ترمز للوطنية وليس لمشاعر دينية طائفية، لأن حسن نصر الله أصبح رمزًا وطنيًا أكثر منه رمزًا دينيًا.**

اتهامات واتهامات مضادة

وفي رد فعل على الوتيرة المتزايدة للتشيع وعدم اكتراث الحكومة السورية بذلك، أطلق الداعية

السعودي البارز سلمان العودة، رئيس مؤسسة «الإسلام اليوم»، تحذيرًا في 22 أكتوبر/تشرين الأول 2006. أشار العودة إلى أن «التوسع الشيعي بين السنة يعتبر مثل اللعب بالنار». وفي تصريحات للصحافة، أعلن العودة أن «**التشيع ينتشر على قدم وساق وخاصة في سوريا، وكذلك في عدد من البلدان الأخرى في العالم الإسلامي. جزء من هذا الاتجاه قد يرجع إلى دوافع سياسية، وبعبارة أخرى إظهار الدعم للوجود السياسي الإيراني. ولكن هذا لا يعني أن الآخرين لا يخلطون بين الجوانب السياسية والأيديولوجية**».

وأشار العودة إلى الطرق المختلفة لنشر العقيدة الشيعية في سوريا: «يتمّ استخدام الإغراءات المادية لإقناع الناس بالتشيع. ونتيجة لذلك انتشرت الحسينيات، وحوربت كل المحاولات المعارضة لهذا الاتجاه». وجاءت تصريحات العودة بعد قيام عدد من المنظمات الإيرانية ببناء اثنين من الأضرحة، الأول على قبر الصحابي عمار بن ياسر، والثاني على قبر التابعي أويس القرني في محافظة الرقة الشمال شرقية، حيث تمّ افتتاح مكاتب ثقافية إيرانية كذلك.

رجال الدين الشيعة في سوريا فندوا اتهامات العودة. ونفى اثنان من أبرز القيادات الدينية الشيعية السورية في سوريا، عبد الله نظام ونبيل الحلباوي، وجود أي «حملة تبشيرية شيعية» بين السُّنة وطالبوا المُدعين بأدلة على ادعاءاتهم.

ونفى أيضًا رجل دين بارز من الطائفة العلوية، **ذو الفقار غزال**، أية جهود لتحويل العلويين إلى المذهب الشيعي. وفي حديث مطول على «العربية دوت نت»، تحدث عن الاختلافات بين العلويين والشيعة وشدد على أن النظام السوري لا يحكم باعتباره نظامًا علويًا، وأكد أن العلويين حققوا مكاسب سياسية بسبب محبة الناس. وأضاف أن السوريين يتعايشون بشكل جيد مع بعضهم البعض وأن الطائفة العلوية أكثر انفتاحًا وعلمانية من معظم الطوائف الأخرى، وأنهم على استعداد لمواصلة الحوار مع أولئك الذين يختلفون معهم.

وبعث رجل الدين الشيعي الشيخ عبد الله نظام، المشرف على المؤسسات والمزارات الشيعية في سوريا والمدرس في حوزة السيدة زينب، رسالة توبيخ إلى سلمان العودة قال فيها: «نتمنى أن نريح

عقل العودة؛ فليس هناك خطر على العقيدة السنية هنا، ونحن نعارض الأشخاص الذين يبيعون دينهم».

ومثل العودة، اتهم نائب الرئيس السوري السابق عبد الحليم خدام، الذي انشق على النظام وأصبح معارضًا، السفير الإيراني في دمشق بالانخراط في العمل التبشيري في سوريا. وزعم خدام أن «السفير الإيراني في دمشق يتحرك في سوريا بحرية أكبر من رئيس الوزراء السوري». وفي مقابلة مع وكالة يو بي آي، أعلن خدام، أن السفير الإيراني استغل الفقر في البلاد وقام ببناء أضرحة في أماكن يُظن أن صحابة النبي ﷺ عاشوا فيها ويقوم كذلك بتوزيع المال على الفقراء، وذلك بهدف بناء «حزب إيراني» في سوريا عن طريق تحويل الناس إلى المذهب الشيعي.

كما اتهمت شخصيات سورية بارزة، الملحقية الثقافية الإيرانية في دمشق، بتقديم أنشطة لا تتفق مع أهدافها المعلنة، وأنها تعزز جهود التحول إلى المذهب الشيعي في سوريا، وأنها في الحقيقة تعمل فعليًّا ومباشرة تحت قيادة المرشد الأعلى الإيراني

والزعيم الروحي علي خامنئي، على الرغم من الصفة الدبلوماسية الرسمية كجزء من السفارة الإيرانية.

كما اتهم العالم السوري السُّني الشهير الدكتور وهبة الزحيلي، وهو رجل دين ومفكر إسلامي سوري مرموق، الملحقية الثقافية، بتقديم إغراءات بشكل نقود كاش، ومنازل وسيارات لجذب الناس إلى التشيع. وأشار الزحيلي إلى أن **«مئات من السوريين في دير الزور والرقة ودرعا ومنطقة الغوطة قرب دمشق، قد أذعنوا واستسلموا للإغراءات الإيرانية وتحولوا إلى المذهب الشيعي»** (وفقًا لتقرير صحافي نشر في 31 أكتوبر/تشرين الأول، 2006 في لندن).

وقد أغضبت هذه التحولات إلى المذهب الشيعي أيضًا تيار الإسلام السياسي السني؛ فقد قال علي صدر الدين البيانوني، رئيس جماعة الإخوان المسلمين في سوريا لوكالة قدس برس، إن «نشاط التشيع في سوريا هو مجرد محاولة لخلق البلبلة وذلك لإحداث تغيير في التكوين الاجتماعي للمجتمع السوري».

التشيع في دير الزور

يمكن أن تعزى موجة التحولات إلى المذهب الشيعي في منطقة دير الزور إلى بلدة حطلة، حيث اعتنق 10 في المئة من مجموع السكان البالغ 30,000 المذهب الشيعي. بدأت التحولات مع عمر الحمادي، وهو رقيب أول في الجيش عمل في غرب وجنوب سوريا وتحول إلى المذهب الشيعي في عام 1979، بينما كان يقيم في درعا. ويقال إنه يعمل بشكل وثيق مع الإيرانيين، وفي العام نفسه أقنع أيضًا ابن عمه وصهره، ياسين معيوف، بالتشيع. في ذلك الوقت كان هؤلاء الاثنان يشكلان جميع المتحولين إلى المذهب الشيعي.

في عام 1982، دعت جمعية المرتضى، التي أسسها جميل الأسد شقيق حافظ الأسد الأوسط، وجهاء وشيوخ العشائر السورية إلى مقر الجمعية في مدينة القرداحة، وطلبت تعاونهم مع أنشطتها التبشيرية. وعُين ياسين معيوف، رئيسًا لفرع الجمعية في قرية حطلة. وكانت الجمعية نشطة جدًّا وأنفقت مبالغ كبيرة من المال، حتى تمّ إغلاقها من قبل

حافظ الأسد في منتصف الثمانينيات. ولكن قبل حلها، كان ياسين معيوف قد تواصل مع إيران، وأصبح واحدًا من الطلاب المرسلين إلى ذلك البلد. واستمر هو وآخرون، من بينهم إبراهيمساير، في تلقي الأموال من الملحقية الثقافية الإيرانية في دمشق، وحوزة السيدة زينب، ومن عدد من التجار العرب الشيعة من دول الخليج الفارسي.

وبعد عودة معيوف من إيران في بداية التسعينيات، بدأ يُشعر بالنفوذ الشيعي في الأماكن العامة في قرية حطلة السنية. وحتى النداء للصلاة في مسجد حطلة الكبير أصبح يشمل الآن عبارة «أشهد أن عليًّا ولي الله». واستخدم معيوف، الذي أصبح ثريًّا جدًّا بفضل الدعم الإيراني، أمواله لحثّ الناس على اعتناق المذهب الشيعي، إما عن طريق الإغراء المالي المباشر، أو عن طريق تأجير المحلات التي أصبح يملكها في السوق مقابل مبلغ تافه. وبنى معيوف بجانب منزله قاعة تجري فيها مراسم الاحتفال بعاشوراء.

كما أصبح أيضًا حسين آل رجا، وهو قريب لمعيوف والمشرف على هيئة التبشير الشيعية في

منطقة دير الزور، رجلًا ثريًا. ويقال إنه يرتب ولائم كبيرة يستضيف فيها وجهاء القبائل وكثير من فقراء القرية. وحكى لي بعض معارفه بأنه قام ذات مرة بتصوير تلك الولائم وإرسال شريط الفيديو إلى الملحقية الثقافية الإيرانية زاعمًا أنه قد حوّل أولئك الضيوف إلى المذهب الشيعي. ولهذا فهو يتلقى مبالغ كبيرة من الملحقية. ويُحكى أيضًا أنه يصور احتفالات القرية مثل حفلات الزفاف والمهرجانات الشعبية، ويرسل أشرطة الفيديو إلى الملحقية الثقافية الإيرانية بالذريعة نفسها. ويقول أحد خصومه إنه أرسل أحد رجاله لتصوير قافلة سيارات على الطريق السريع بين الرقة ودير الزور، زاعمًا أنها قافلة تحتفل بالتشيع. وفي الوقت الحاضر يلقي الرجا موعظة أسبوعية في الرقة.

وهناك عدد من المثقفين في منطقة دير الزور ينشطون أيضًا في دعم عملية التحول إلى المذهب الشيعي. أحد هؤلاء هو أمير شبيب، وهو صاحب مكتبة القرآن الكريم الواقعة في ساحة دير الزور الرئيسة. وآخر هو عبد الله حمدان، الذي تشيع والده أولًا، وتبعه ابنه في عام 1990. إنه ابن عم

ياسين معيوف. وفي وقت كتابة هذا التقرير كان يبيع الكتب على جسر الفرات بالقرب من مسجد السرايا. وقيل إنه يوزع كتب الشيعة مجانًا وخاصة للنساء والفتيات. (مثل كتاب محمد جواد مغنية، **الاثنا عشرية وأهل البيت**). كما يبيع كتب منوعة أخرى للتمويه على نشاطه التبشيري وجذب المزيد من الزبائن.

في منطقة دير الزور، وبلدة حطلة والقرى المجاورة لها، تمّ بناء ما لا يقل عن ست حسينيات مؤخرًا. وهناك أيضًا العديد من الحسينيات في القرى المحيطة. **ويتمّ شراء الأرض التي تبنى عليها الحسينية بمبالغ باهظة كحافز لأصحابها ولغيرهم من ملاك الأراضي. مثل هذه المعاملات تحدث حتى في المدن التي لا يوجد فيها متحولون إلى المذهب الشيعي، وذلك لأجل الحصول على موطئ قدم في المنطقة لنشاطات تبشيرية مستقبلية. أحيانًا يتم شراء الأرض بمليون ليرة سورية للدونم الواحد، على الرغم من أن سعرها في السوق لا يزيد على الخمسين ألف ليرة.** وتشير مصادر معلوماتية إلى وجود أعداد متزايدة من الحسينيات قيد التخطيط والبناء.

ويشير المواطن السوري محمد الشمري، أن بعض الشباب المتشيعين يدخلون في نقاشات مستعرة لتفنيد أسس المذهب السُّني أمام أصدقائهم وزملائهم مع تقديم إغراءات مالية لهم ليتحولوا مثلهم. ويتمّ ترتيب الزيجات للرجل المتشيع حديثًا من امرأة شيعية راغبة بسرعة فائقة وغالبًا ما تكون العروس فارسية. المتشيعون يحاولون أيضًا دعوة القرويين وأبناء القبائل إلى حفلات الأعياد وتزويدهم بالتموينات الغذائية مثل الأرز والدقيق والسكر وما شابه ذلك. في البداية لا يدعون ضيوفهم للتحول، ولكن فقط يسعون إلى مجرد محاولة كسب قلوبهم. ولاحقًا، في الوليمة الثانية أو الثالثة، قد يحاولون إقناعهم بالتشيع. إضافة إلى ذلك، تشير مصادر معلوماتية محلية إلى أن ياسين المعيوف وحسين الرجا المذكورين آنفًا، جلبا أكياسًا كبيرة من المال من الملحقية الثقافية الإيرانية في دمشق إلى دير الزور بعد حرب لبنان في صيف عام 2006، وتم توزيعها بين اللاجئين اللبنانيين السنة الذين جاؤوا إلى المنطقة لإغرائهم بالتشيع.

ويستمر وصول المال الكثير إلى محافظة دير الزور لنشر التشيع، بالرغم من اختلاف التقارير عن المصادر. وأكدت لي مصادر معلوماتية مطلعة أن رجل من منطقة الخليج الفارسي يصل إلى دير الزور مرة واحدة في الشهر. **ووفقًا لبعض التقارير فإن هذا الرجل الخليجي وليس الملحقية الثقافية الإيرانية في دمشق، هو من يجلب المال، مع وجود احتمال قوي بأن الرجل يعمل بالتعاون مع الملحقية. هذا الرجل يعطي المال للمعيوف والرجا ويحدد لهما كيفية التوزيع على كل المتشيعين. ويقال إن المبلغ المعتاد صرفه هو خمسة آلاف ليرة سورية شهريًا لكل متشيع.**

وأحيانًا لا تنجح كل المحاولات الرامية إلى توسيع التشيع عبر المحافظات؛ فعلى سبيل المثال، قام المبشر العراقي الشيخ عبد الحميد المهاجر في عام 1996، برحلة عبر المحافظات السورية، وزار مراكز التشيع، بما في ذلك مسجد عمار بن ياسر. وأمرت السلطات السورية الدعاة والطلاب بحضور خطبة ألقاها المهاجر، ولكن محتواها أثار غضب بعض رجال الدين السُّنة الذين نجحوا، بمساعدة من

بعض زعماء القبائل المقربين من النظام، في وقف تجواله في أنحاء البلاد كافة.

وفي عام 1998، زارت مجموعة من رجال الدين الشيعة مفتي دير الزور خلال عطلة عيد الفطر. هاجموا المذهب السني، وعندها قال المفتي لهم: «كنت مع الرئيس حافظ الأسد منذ يومين فقط، وقال لي إنه لا يريد أي فتنة طائفية هنا».

ونجحت هذه الكلمات في إحباط خطتهم بلعن أصحاب النبي ﷺ.

وبالمثل، في عام 2003، زار وفد من رجال الدين الشيعة من دمشق مسجد خالد بن الوليد في ضواحي دير الزور. وأبلغوا إمام المسجد أن لديهم تصريحًا رسميًّا للبحث عن قبور أشخاص من عائلة الرسول ﷺ ورعايتها بشكل صحيح. ثم طلبوا أن يتعاون معهم ويسمح لهم بالإشراف على المسجد. وعندما رفض، حاولوا مضايقته واشتروا الأرض التي حول المسجد، حيث يخططون لبناء حسينية كبيرة. ولكن محاولاتهم لم تنجح.

في عام 2006، أراد بعض المتشيعين الأغنياء بناء

حسينية في قرية عين علي. ولكن بعد يوم واحد من وضع القواعد، قام القرويون بإزالتها. وحتى لحظة الكتابة لم تتمّ إعادة محاولة بناء تلك الحسينية.

التشيع في محافظة درعا

بعض البلدات في درعا، مثل بصرى الشام، كان فيها سكان شيعة أصليين منذ قرن من الزمان، ولكن هؤلاء الشيعة يعلنون أنهم سنة. وكانت هذه هي الحال حتى عام 1997، مع وصول زيدان غزالة في العام نفسه، وهو صهر وابن عم الجنرال رستم غزالة، الرئيس السابق للاستخبارات السورية في لبنان. وكان قد تخرج في الجامعة وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين وانضمّ في ما بعد لحركة المرتضى، ولكنه تشيع علنًا وبدأ التبشير بالمذهب الشيعي. كان يتلقى دعمًا ماليًا من إيران، ويقدم إغراءات للشباب، خصوصًا الكاش (النقد الفوري)، والأثاث والكتب والملابس. كما شجع أيضًا الزواج المؤقت مع الفتيات الصغيرات من أجل تلبية الاحتياجات الجنسية للرجال من دون التورط بزواج دائم. وكان كل من يعترض عليه يجد نفسه في

السجن أو مهددًا من قبل قوات الأمن السورية، التي كان غزالة وثيق الصلة بها نظرًا إلى مركز صهره.

حاليًّا يتولى زيدان غزالة منصب إمام وخطيب مسجد علي بن أبي طالب في حي الزهيرة من مدينة درعا، وهو مسجد سني استولى عليه غزالة قسرًا.

وهناك جالية شيعية عراقية في محافظة درعا كانت قد استقرت فيها قبل سقوط بغداد في عام 2003، واستمرت في النمو. وهناك في مدينة درعا شارع كامل يحتله التجار الشيعة العراقيون. لقد بنوا حسينية وبها مرافق، حيث يستطيع جميع المتشيعين هناك الاستفادة من تلك المرافق: كروضة الأطفال، وغرفة الكمبيوتر ومكتبة الأطفال.

وقد كان لشخص اسمه أبو جعفر العراقي، تأثير عميق في عملية التشيع في هذه المنطقة. أبو جعفر العراقي اشتغل في العمل التبشيري بين الأثرياء، وكذلك المهنيين الميسورين كالأطباء، الذين كان يعرض عليهم رحلات مجانية إلى إيران، ويقدم الهدايا والمال الكاش للطلاب الفقراء. وكان يرتب اجتماعات يتم خلالها لعن الصحابة واتهام زوجة

النبي ﷺ عائشة بـ (. . .). وقام بتوزيع مئات من الكتب التبشيرية الشيعية في جميع أنحاء المحافظة وأصبح خطيبًا في مسجد الرسول الأعظم الذي شيد مؤخرًا في درعا.

غادر أبو جعفر العراقي سوريا إلى العراق بعد سقوط بغداد؛ وأخذ مكانه كاظم التميمي، وهو مبشر شيعي أيضًا، ولكنه أقل نشاطًا من سلفه. ولهذا السبب تمّ استدعاء أبي جعفر العراقي مرة أخرى، ولكنه لأسباب غير معروفة غادر مرة أخرى بعد شهرين من عودته.

لقد كان بناء الحسينيات مؤشرًا على تزايد فعالية عملية التشيع في محافظة درعا، وكذلك أداة لمحاولة تحويل المزيد من السوريين إلى المذهب الشيعي. تمّ بناء أول حسينية في مدينة درعا في عام 1976، بالقرب من المطار، إلى جانب اثنين من المساجد السنية. وزارها باستمرار رجال دين شيعة من إيران والعراق ولبنان وسوريا، ولا سيما عبد الله نظام، رئيس المدرسة الحسينية في دمشق، وهو رجل دين شيعي سوري قوي وقيادي يشارك في كل

محفل لرجال الدين الشيعة في سوريا. كما توجد حسينيات في بلدات أخرى، يتراوح سكانها من 5 ـ 33 ألف نسمة. وفي بعض الحالات، مثل بلدة المليحة الغربية، أدى بناء الحسينية إلى عزل طوعي بين الشيعة والسنة، ويستعمل الشيعة أسماء جديدة وعادة شيعية لمتاجرهم.

وقد حصل التحول إلى المذهب الشيعي أيضًا في العديد من البلدات والقرى التي لا توجد فيها حسينيات؛ ففي بلدة السورة، على سبيل المثال، تشارك عائلة شيعية بنشاط في العمل التبشيري، وتوفير الحوافز للشباب ليتحولوا. وقيل إن الأب يعرض باستمرار ابنته لزواج مؤقت من أجل جذب الشباب. الابنة وهي طالبة في السنة الثالثة في حوزة السيدة زينب، قيل إنها عقدت أكثر من 50 زواجًا مؤقتًا في غضون بضعة أشهر.

التشيع في محافظة الحسكة

وتشير عدد من المصادر إلى أن المبشرين الشيعة في محافظة الحسكة (التي معظم سكانها من الأكراد) بدأوا ينشطون كثيرًا مؤخرًا. وقد تم توزيع منشورات

تدعو الناس إلى التحول، وتستهدف أساسًا الشباب والعاطلين عن العمل، وجرى التوزيع في المحلات التجارية في مدينة الحسكة، وتعد هذه الكتيبات براتب شهري يتراوح بين 5-10 الآف ليرة سورية (حوالى 200 دولار) للمتشيعين. المبشرون الشيعة يستغلون الفقر في المنطقة، مع علم كامل للسلطات المحلية. ووفقًا لبعض المصادر، يرعى هذا النشاط الإيرانيون، من خلال الملحق الثقافي في حلب، بالتعاون مع أجهزة الاستخبارات السورية. الملحق هو رجل دين اسمه آية الله عبد الصاحب الموسوي، وهو إيراني عربي رفيع التعليم، ويتحدث العربية بطلاقة.

ويُزعم أن قادة الحركة التبشيرية في المحافظة قاموا بتدريب عدد كبير من الناس، إما من خلال إرسالهم إلى إيران بمنح دراسية كاملة، لغرض دراسة العقيدة الشيعية، أو عن طريق تمويل رحلات لزيارة أقارب في جنوب لبنان. المبشرون يتمتعون بحماية السلطات السورية، الذين تسمح لهم بالاستفادة الكاملة من المساجد في المحافظة وتمنحهم حرية كاملة في الحركة.

ويقوم قادة حركة التشيع أيضًا بشراء الأراضي لبناء حسينيات.

وكانت آخر صفقة شراء في مدينة القامشلي الكردية.

مؤخرًا، أيضًا، تمّ بناء حسينية مخصصة لأسرة النبي في النشوى، وموّلها رجل أعمال شيعي من الكويت.

الشيعة في كلية الحسكة الدينية يروجون تلاوة الأدعية الشيعية في ذكرى ميلاد الأئمة، ويؤكد بعض مدرسي الكلية أيضًا أن الزواج المؤقت شرعي.

ومن أهم المبشرين الشيعة في المحافظة محمود نواف الخليف، والدكتور حسن الأحمد المشهداني.

ولعل أبرزهم، ذو العمامة السوداء أبو فراس الجبوري (مصطفى خميس)، إضافة إلى عبد محسن عبد الله السراوي، وهو مؤلف كتاب **القطوف الدانية في المسائل الثمانية**.

وهناك على الأقل واحد من المبشرين الشيعة في المحافظة يملك مكتبة كبيرة، حيث يتم عقد اجتماعات أسبوعية لإغراء الناس بالتشيع.

التشيع في اللاذقية

بدأ التحول إلى المذهب الشيعي في مدينة اللاذقية في الثمانينيات، بتحريض من جمعية المرتضى. هذه الجمعية شيدت 76 حسينية في منطقة اللاذقية، أكبرها في منطقة دمسرخو، وتبلغ مساحتها 6,000 متر مربع، وأصغرها، في قرية عين التينة، ومساحتها 40 مترًا مربعًا فحسب؛ في الماضي لم تستخدم هذه الحسينيات للنشاط التبشيري مطلقًا، بل كانت بمثابة أماكن اجتماع للأشخاص المعارضين للحكومة. ولكن بعد وفاة الرئيس حافظ الأسد، وعندما مكّن ابنه بشار طهران من كسب نفوذ متزايد في سوريا وبخاصة بعد سقوط بغداد، بدأ الإيرانيون إدارة شؤون الشيعة في اللاذقية. تمّ تدشين هذه المرحلة الجديدة ببناء «حوزة الرسول الأعظم» في حي الأزهري باللاذقية، على قطعة أرض تابعة لديوان الوقف السني. وكان مدير الحوزة رجل دين عراقي، وهو ممثل لخامنئي، اسمه السيد أيمن الزيتون.

وتمّ بناء مركز ثقافي في حي الزراعة توظف فيه أكثر من 300 عراقي ولبناني، والذين تتمثل مهمتهم

في مخالطة الناس وتقديم الحوافز ليتحولوا إلى المذهب الشيعي. ويزور المسؤولون الإيرانيون المحافظة بانتظام. وأثناء زيارة وزير الإسكان الإيراني للمنطقة ذات مرة، قدم 300 شقة جديدة إلى المتشيعين الجدد في اللاذقية. وحتى رئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام في إيران، رفسنجاني زار المنطقة ودعا السكان إلى زيارة إيران.

ولا يذهب حاكم المحافظة ولا سكرتير الحزب فيها، وهما أعلى مسؤولين في المنطقة، إلى أي مكان من دون السيد أيمن الزيتون، الذي غالبًا ما تظهر صوره في الصحف اليومية. ولزيتون كلمة مسموعة في كل التعيينات الإدارية في المدينة، ويعد علنًا بوظائف للمتشيعين. وفي اجتماع مغلق ذات مرة تباهى قائلًا: «**الغرب يعتقد أننا سنهاجم من صيدا وصور، ولكننا سوف نفاجئهم من اللاذقية وطرطوس**». قادة الشيعة في اللاذقية يعدون الشباب بالوظائف والقبول في الجامعات وحتى بالزوجات. ويتمّ إرسال من يرغبون في الجهاد إلى جنوب لبنان.

وتظهر آثار النفوذ الإيراني أيضًا على الجامعات

والكليات السورية؛ فعلى سبيل المثال، خصص رئيس جامعة تشرين في اللاذقية مبنيين في الحرم الجامعي لإيران في مارس/آذار 2007، لغرض إنشاء كلية إسلامية داخل الجامعة.

التشيع في حلب

حلب، أيضًا، تشهد ظاهرة التشيع، مع وجود عدد من السكان البارزين العاملين كمبشرين. المركز الشيعي الرئيس في مدينة حلب هو «مسجد نقطة»(*) قرب جبل حوشان. وبالقرب من المدينة هناك قريتان شيعيتان، نُبُلْ والزهراء، والتي ينشط سكانها في الشؤون الشيعية.

الشيعة يسيطرون على الهلال الأحمر، كما أن مستشفى الهلال الأحمر في حلب إيراني. القنصلية الإيرانية في مدينة حلب، التي يرأسها عبد الصاحب عبد الواحد الموسوي، تشارك بنشاط كبير في العمل التبشيري بين طلاب الجامعات. القنصلية قريبة جدًّا من الحرم الجامعي وتقدم وجبات للطلبة على أمل

(*) سمي بالنقطة لوجود صخرة فيه يعتقد الشيعة أن عليها نقطة من دم الحسين رضي الله عنه. (العيسى).

حثهم على التشيع. الشيعة في حلب يقيمون عادة احتفالات كبيرة في المولد النبوي، وميلاد الإمام السادس جعفر الصادق، وخلال أسبوع الوحدة الإسلامية.

وكمثال للأخير كان الاحتفال في 30 مايو/أيار 2002، والذي جرى في «مسجد النقطة» والذي حضره حوالى 5000 من الرجال والنساء الشيعة، ومعظمهم من قرى نبل والزهراء، وكذلك حضر بعض السنة. تمّ ترتيب الاحتفال بواسطة القنصل الإيراني في حلب، بما في ذلك وضع شاشة كبيرة ليشاهد الحفل أولئك البعيدون عن المنصة، وكذلك وضعت مكبرات صوت وأجهزة عرض أعدت بعناية فائقة. وغطيت الجدران بصور كبيرة تحتوي على زخارف ومدائح للنبي ﷺ وأهل بيته (ر). وافتتح الاحتفال بتلاوة بعض الآيات القرآنية.

وكان تواجد حزب الله كبيرًا هناك. ووضعت صورة حسن نصر الله بجانب صور الخميني وعلي خامنئي. ومَثَّلَ الحزب نائب نصر الله، الشيخ نعيم قاسم، الذي تحدث عن إنجازات حزب الله في جنوب لبنان. وتلاه الشاعر الشيعي، عبد الكريم

تقي، الذي ألقى قصيدة يمدح فيها التحول إلى المذهب الشيعي. وفي نهاية الاحتفال تحدث الملحق الثقافي الإيراني، الموسوي، وذكر عددًا من الكتب التي قد تكون مفيدة لتعزيز إيمان الناس، مثل نهج البلاغة والصحيفة السجادية. ولكن ربما كان أهم حدث في ذلك الاحتفال هو طقس الزواج الجماعي، حيث تم تزويج 60 من الأزواج على نفقة السفارة الإيرانية (كما أعلن مذيع الحفل). كما أعلن الموسوي أن كل عريس سوف يحصل على هدية من السفارة الإيرانية ومكتب خامنئي.

التشيع في إدلب

وحدثت أنشطة تشيع مماثلة في محافظة إدلب. ونحو نهاية عام 2006، افتتحت كلية شيعية دينية في المحافظة. وكان منهجها إيرانيًّا خالصًا، وقدمت العديد من الحوافز للمتشيعين المحتملين. المبشرون الشيعة نشيطون جدًّا في المحافظة. ويقدم بعضهم إغراءات نقدية عجيبة، مثل منح مبلغ 2,500 ليرة سورية، لمن يسمي ابنه الحسن أو الحسين.

أحد أبرز مراكز النشاط الشيعي في المحافظة هي

قرية زرزور، وهي قرية بالقرب من الحدود التركية. وتشير مصادر معلوماتية أن أول حالة تشيع في القرية وقعت في عام 1945، على يد محمد ناجي غفري، الذي كان بنفسه قد تحول إلى المذهب الشيعي. ودُعمت أنشطته التبشيرية من قبل السفارة الإيرانية في دمشق، التي حافظت على اتصال منتظم معه وساعدته في بناء حسينية.

واليوم أصبح ربع (25 في المئة) سكان القرية هم من الشيعة. تحولت عشائر بأكملها، بما في ذلك طريمش، والمنجد، والسيد. والآن انتشرت عملية التشيع أيضًا إلى بعض القرى المجاورة، ولكن بأعداد أقل.

التشيع في حمص والساحل

في حمص هناك كثافة شيعية كبيرة في حي البياضة، الذي يحمل أحد شوارعها اسم إيران. وهناك أيضًا مسجد شيعي كبير. كما أن قرية الحميدية، وهي غير بعيدة عن حمص، شيعية كذلك.

نجاح باهر: تشيع مدير الأوقاف في طرطوس (وهو وزير الأوقاف منذ عام 2007)

الشيعة الإيرانيون والعراقيون ينشطون أيضًا على طول الساحل السوري. سيطر جميل الأسد تجاريًّا على الموانئ السورية والمناطق القريبة منها بدعم وتشجيع من أخيه حافظ الأسد. كما كان يمارس أيضًا العمل التبشيري في هذه المناطق لتحويل العلويين إلى المذهب الشيعي. وكان أحد نجاحاتهم الباهرة هو مدير الأوقاف في طرطوس، الدكتور محمد عبد الستار السيد، الذي يساند علنًا العقيدة الشيعية، كما جاء على الصفحة الأولى من مجلة المنبر، وهي مجلة مكرسة للمتشيعين (وهو وزير الأوقاف حاليًّا).

وماذا عن المستقبل؟

يشكل الشيعة اليوم أكثر قليلًا من 1 في المئة من مجموع سكان سوريا (18 مليون نسمة). العديد من الظروف في الوقت الحاضر ـ الجغرافية والسياسية والتاريخية، والمالية، وبدرجة أقل الدينية أو

المذهبية ـ تتضافر لتسبب زيادة في التحول إلى العقيدة الشيعية. كانت نسبة الشيعة في سنة 1953، لا تزيد على 0,4 في المئة من سكان سوريا.

العدد المتزايد من التحولات هو، أولًا، نتيجة للجغرافيا والتاريخ. الشيعة في سوريا اليوم يمتلكون عددًا كبيرًا من المؤسسات والأضرحة، وأهمها مقام السيدة زينب، مقام سكينة بنت الحسين، و«مسجد النقطة» في حلب. ويزور كل هذه المواقع العديد من الحجاج الشيعة من الخليج الفارسي والعراق وإيران. المهاجرون الشيعة العراقيون وكذلك الحجاج الإيرانيون الذين يأتون لزيارة الأضرحة الشيعية في سوريا، يشكلون جيشًا بشريًا كبيرًا مشبعًا بالعقيدة الشيعية، ويساعدون في نشر أفكار ومبادئ المذهب الشيعي.

الإغراءات المقدمة لتحفيز التحول للمذهب الشيعي، صنعت جاذبية للمتحولين المحتملين. الشيعة يبنون مساكن للدراسة بجوار الأضرحة ويؤسسون سلطات دينية هناك ما أعطاهم استقلالية في ما يتعلق بالأحكام الدينية وقيادة المجتمع. إضافة إلى ذلك، يحتفل الشيعة بالعديد من العطل، بما في

ذلك عاشوراء، الغدير، وميلاد ووفاة الأئمة الشيعة الاثني عشر، وغيرهم. ويدعى السُّنة إلى هذه الاحتفالات، وبالتالي يتعرضون لتأثير الأفكار الشيعية.

وقد أدت السياسة دورًا مهمًّا في تعزيز عملية التشيع؛ فبعد وصول بشار الأسد إلى السلطة في عام 2000، زاد النفوذ الإيراني في سوريا كثيرًا، بدعم وتشجيع من قبل النظام السوري. ونتيجة لذلك تجنس العديد من الإيرانيين والعراقيين وأصبحوا مواطنين سوريين بالتجنس، وبذلك زادت وتيرة التحول إلى المذهب الشيعي، وخصوصًا بين العلويين، الذين كان لديهم رغبة في الانتماء إلى أقلية أكبر حجمًا وأكثر قوة إقليميًّا.

وكانت السفارة الإيرانية والملحقية الثقافية في دمشق نشيطتين في التبشير بالعقيدة الشيعية في سوريا وتعملان على نشرها في كل محافظات البلاد، عن طريق الإغراءات المالية، والمنح الدراسية للجامعات الإيرانية، والرعاية الطبية المجانية، والرواتب الشهرية، وغير ذلك. إضافة إلى ذلك، عززت حرب لبنان عام 2006، المشاعر المناهضة

للغرب في وسائل الإعلام السورية، التي تعارض وجود إسرائيل وتدعم حركات المقاومة في الضفة الغربية وقطاع غزة وفي لبنان. وهو ما أثار موجة من الإعجاب بحسن نصر الله، وكانت النتيجة أن العديد من السوريين تشيعوا بسبب هذا الإعجاب لا بل زادت الأنشطة الشيعية في سوريا بكثافة.

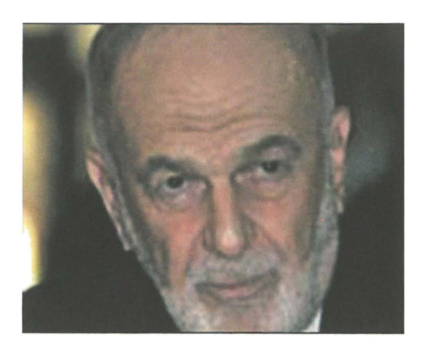
هذا النوع من المظاهر الموالية للشيعة (من خلال إظهار الإعجاب بحسن نصر الله) قد تكون لحظية فحسب، لأنها رد فعل عاطفي وليس قناعة دينية عميقة الجذور. ولكن مهما كانت طبيعة الدوافع، فالحقيقة هي أن الميل نحو التشيع في سوريا لا يزال قائمًا.

انتهى البحث

معرض صور القسم الأول:

التشيع في سوريا ليس خرافة

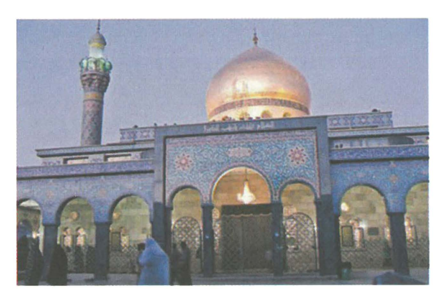
إعداد: د حمد العيسى



جميل الأسد مؤسس جمعية المرتضى النصيرية.



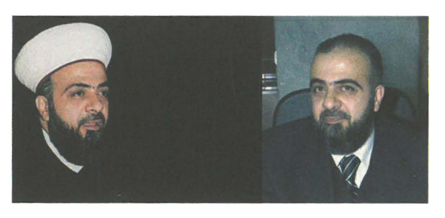
الإيكونوميست تعلن انتصار حسن نصرالله في حرب يوليو/تموز 2006 وهو «الوهم» الذي استخدم كسلاح فعال في نشر التشيع.



مقام السيدة زينب في دمشق.



كلمة للمفتي حسون ثم قبلة حارة على رأس نجاد.



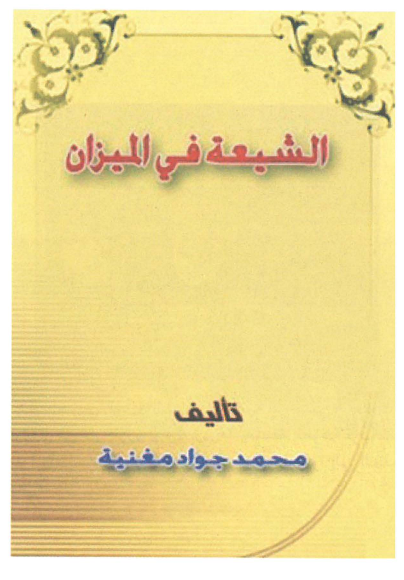
نجاح باهر للتشيع في سوريا مدير الأوقاف بطرطوس الدكتور محمد بن عبد الستار السيد تحول للمذهب الشيعي ونال ترقية مستحقة لمنصب وزير الأوقاف عام 2007. كما جاءت صورته على الصفحة الأولى من مجلة المنبر الإيرانية المكرسة للمتشيعين.



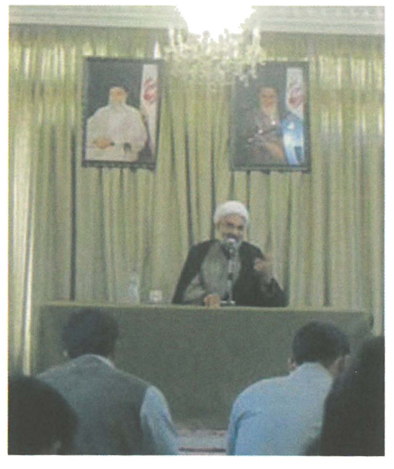
مزار السيدة رقية.



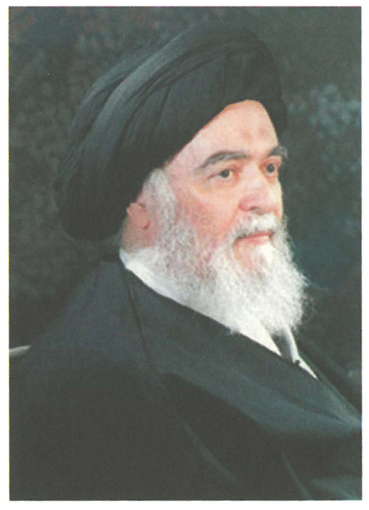
العالم السوري البارز الشيخ د. وهبة الزحيلي: «مئات من السوريين في دير الزور والرقة ودرعا ومنطقة الغوطة قرب دمشق أذعنوا واستسلموا للإغراءات الإيرانية وتحولوا إلى المذهب الشيعي».



كتب شيعية توزع مجانًا ضمن جهود نشر التشيع.



محاضرة في الملحقية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية
في سوريا في ذكرى عيد الغدير.



آية الله العظمى الشيرازي، الذي أصدر الفتوى الشهيرة التي تفيد بأن العلويين (النصيريين) ينتمون إلى الشيعة الاثني عشرية.



الإمام موسى الصدر تنبه مبكرًا لأهمية نشر التشيع
في سوريا وزار سوريا لهذا الغرض.



آية الله محمد حسين فضل الله
استعان به حافظ الأسد ودعاه ليقيم في سوريا.



مفتي سوريا السابق أحمد كفتارو الذي
ساهم في تدعيم وتعزيز حكم حافظ الأسد.



مفتي سوريا الحالي د. أحمد بدر الدين حسون يصلي مع بشار في مناسبة دينية. يقول الشيخ حسون: «الرئيس بشار الأسد يريد التخلي عن منصبه والعودة إلى مزاولة مهنته الاساسية في الطب بعد الانتهاء من عملية الإصلاحات في سوريا»!!



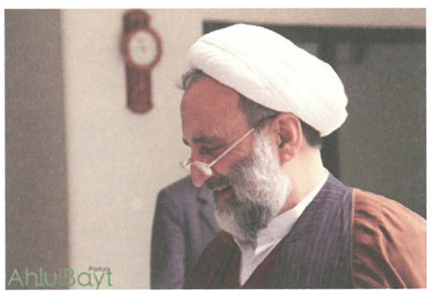
المبشر الشيعي العراقي الشيخ عبد الحميد المهاجر الذي ساهم بقوة في نشر التشيع بسوريا (اسمه الحقيقي: حميد كزار عبد الرضا عبد الواحد الشمرتي).



التلفزيون السوري يبث برامج الشيخ عبد الزهراء الكعبي
المؤثرة التي تروّج للتشيع باستمرار.



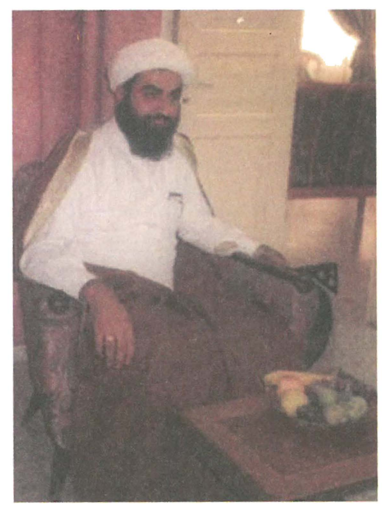
صورة شائعة في سوريا .



الشيخ الشيعي السوري نبيل الحلباوي يرد على (س. ع.):
«لا وجود لأي حملة تبشيرية شيعية بين السنة السوريين».



السفارة الإيرانية في دمشق
حيث تدار وتمول عملية نشر التشيع.



الشيخ النصيري ذو الفقار غزال:
«لا يوجد تشيع بين النصيريين في سوريا».



السيد عبد الحليم خدام نائب الرئيس السوري المنشق أصدر كتابًا هامًّا (الصورة) ويقول: «السفير الإيراني في دمشق يتحرك في سوريا بحرية أكبر من رئيس الوزراء السوري».



يُزعم أن المستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق تقدم أنشطة لا تتفق مع أهدافها المعلنة وتعزز جهود التحول إلى المذهب الشيعي في سوريا.



مهرجان للسينما الإيرانية من تنظيم المستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق يعتبر ضمن الجهود الإيرانية الحثيثة لجذب وتحييد النخبة العلمانية في سوريا.



صورة وخبر نقلًا عن موقع
(المستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق):

«قال رئيس المجلس الأعلى لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية إسحاق مدني خلال لقائه في 21 فبراير/شباط 2013 أعضاء المجلس العلمائي في إندونيسيا إن أهل السنة في ايران لهم الحرية الكاملة في أداء طقوسهم وأعمالهم الدينية. وأفادت الدائرة العامة للعلاقات العامة والإعلام لرابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية أنه في اللقاء الذي

حضره أكثر من 50 عضوًا رئيسيًّا وفرعيًّا للجان وكذلك رؤساء وأعضاء اللجان الست للمجلس العلمائي الاندونيسي فقد شرح وفد مجمع التقريب الموفد من إيران أوضاع أهل السنة في إيران والقواسم المشتركة بين المسلمين الشيعة والسنة وضرورة الوحدة الإسلامية. من جانبه شرح مولوي إسحاق مدني رئيس المجلس الأعلى لمجمع التقريب ومستشار الرئيس الإيراني لشؤون أهل السنة، أوضاع ومكانة أهل السنة في إيران وقارن بين وضعهم قبل انتصار الثورة وبعدها متطرقًا إلى عدد المراكز الدينية والمساجد والمدارس الدينية لأهل السنة في إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية والذي شهد نموًا وصل إلى ضعفين»!!

110

القسم الثاني
طهران تستعد للاستيلاء على دمشق(*)



بروفيسور ديفيد ليش

(*) هذه مقالة للبروفيسور ديفيد ليش. حصل ليش على الدكتوراه من جامعة هارفارد في تخصص دراسات الشرق الأوسط عام 1991، ويعمل حاليًا كأستاذ للتاريخ ودراسات الشرق الأوسط، جامعة ترينيتي، سان أنطونيو، ولاية تكساس. ألف البروفيسور ليش 11 كتابًا عن الشرق الأوسط، منها 6 كتب عن سوريا تحديدًا، وآخرها بعنوان «سوريا: سقوط آل الأسد». (العيسى).


112

تمهيد

في منتصف أبريل/نيسان الماضي [عام 2013]، قام زعيم حزب الله حسن نصر الله، بزيارة سرية إلى طهران حيث التقى كبار المسؤولين الإيرانيين وفي مقدمتهم المرشد الأعلى علي خامنئي، وقائد قوة القدس التابعة للحرس الثوري، الجنرال قاسم سليماني، المسؤول عن السياسة الإيرانية في لبنان وسوريا. الزيارة كانت سريّة ولم تكشف أي تفاصيل على المستوى الرسمي ـ باستثناء النشر الحصري على الموقع الرسمي لحزب الله لصورة خامنئي ومعه حسن نصر الله في مكتبة خامنئي الخاصة، وفوقهما صورة لآية الله الخميني.

مشاركة سليماني في اجتماع مع نصر الله تعتبر إشارة مهمة. لقد كان سليماني رأس حربة النشاط العسكري الإيراني في منطقة الشرق الأوسط؛ ففي يناير/كانون الثاني 2012، **أعلن سليماني أن الجمهورية الإسلامية تسيطر «بطريقة أو بأخرى» على العراق وجنوب لبنان**، وهو الآن ـ كما يبدو ـ يستعد لبسط سيطرة إيران على سوريا بالكامل.

خطة إيرانية من ثلاثة محاور

وأشار خزان تفكير موثوق(*)، على الرغم من أنه معادٍ لإيران وحزب الله ولكنه ينشر معلومات دقيقة، إلى أن إيران وضعت خطة عسكرية عملياتية لمساعدة سوريا أو للسيطرة عليها. وقد سميت الخطة باسم الجنرال سليماني. وتتضمن الخطة ثلاثة عناصر:

(1) إنشاء جيش طائفي شعبي يتكون من الشيعة والعلويين، ويُدعم بقوات من إيران والعراق وحزب الله، إضافة إلى وحدة شيعية رمزية من متطوعي الدول العربية في الخليج الفارسي.

(2) تتزايد هذه القوة تدريجيًّا حتى تصل إلى 150,000 مقاتل.

(3) وتعطي الخطة الأفضلية لاستيراد المحاربين من إيران والعراق، وبعد ذلك فقط، عناصر شيعية من دول أخرى. وسيتم دمج هذه القوة الإقليمية مع الجيش السوري. وزار سليماني بنفسه سوريا في أواخر فبراير/شباط وأوائل مارس/آذار، للإعداد لتنفيذ هذه الخطة.

(*) مركز واشنطن لدراسات الشرق الأدنى. (العيسى).

سوريا ولبنان كعمق استراتيجي لإيران

وقال بعض الضباط الإيرانيين الكبار في السابق، مثل اللواء يحيى رحيم صفوي، القائد السابق للحرس الثوري الذي يشغل حاليًا منصب مستشار لخامنئي: إن لبنان وسوريا أعطيا لإيران «عمقًا استراتيجيًا». ولذلك، يبدو الآن أن طهران تتخذ خطوة أبعد حيث تستعد لـ «الخطة ب» (Plan B)، أي السيطرة تمامًا على سوريا في حال سقوط الأسد.

نصر الله، نادرًا ما يقوم بمثل هذه الرحلات. آخر مرة سافر خارج لبنان كانت في فبراير/شباط 2010، عندما اجتمع في دمشق مع الرئيس السوري بشار الأسد والرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد. ويمارس نصر الله حذرًا هائلًا حتى لا يظهر في العلن منذ حرب تموز عام 2006، وزاد الحذر منذ اغتيال رئيس الجناح العسكري لحزب الله، عماد مغنية، في دمشق في فبراير/شباط 2008. وحتى في إيران نفسها حافظ نصر الله على سرية تامة في تنقلاته خوفًا من أن يصبح هدفًا للاغتيال هناك. وبعد الزيارة، ألقى خطابًا في لبنان في 30 نيسان/أبريل، ولكنه لم

يقل أي شيء عن زيارته إلى إيران. وأشار في خطابه إلى أن سوريا «لديها أصدقاء حقيقيين» لن يتركوها تسقط، ما يعني ضمنيًّا بأنه ـ عند الضرورة ـ **سيضاعف جهوده للدفاع عن المصالح الإيرانية، التي تعتبر ـ حقًّا ـ مهمة حزب الله الأولى.**

ويبدو أن تدخل حزب الله الحالي في سوريا، ومدى هذا التدخل، شكلا المحور الرئيس على جدول الأعمال خلال زيارة نصر الله إلى طهران. وكلما مضى الوقت، يثبت أكثر وأكثر أن إيران تنظر إلى سوريا باعتبارها العمود الفقري لسياستها في الشرق الأوسط بشكل عام. **ويهدف إدخال حزب الله في الصراع المسلح في سوريا أولًا وقبل كل شيء لخدمة الاستراتيجية الإيرانية، والتي قامت بتحديد أهداف جديدة بخلاف المساعدات العسكرية للنظام السوري؛ فإيران تبدو بالفعل أنها بدأت تعمل بخطة لما بعد نجاة النظام السوري وتستعد لحقيقة واقعية في ما لو أصبح يجب عليها أن تعمل في سوريا حتى لو سقط الأسد.** وحتى قبل الأحداث الأخيرة في سوريا، حذر المراقبون في العالم العربي منذ سنوات عن وجود أدلة متزايدة لـ «تطلعات توسعية إيرانية» في المنطقة.

سوريا هي المحافظة رقم 35 لإيران ولها أهمية استراتيجية أكبر من محافظة خوزستان (عربستان) الإيرانية

ولعل أهم تعبير عن مركزية سوريا في الاستراتيجية الإيرانية، هو قول حجة الإسلام مهدي طيب، الذي يرأس خزان تفكير (مركز دراسات) تابع لخامنئي، إن «سوريا هي المحافظة رقم 35 لإيران ولها أهمية استراتيجية أكبر من محافظة خوزستان» [حيث يسكن عرب إيران الشيعة فوق معظم موارد النفط والغاز الإيرانية]. وعبر الحفاظ على سوريا، سوف نكون قادرين على حفظ خوزستان، ولكن إذا خسرنا سوريا فلن نقدر حتى المحافظة على طهران».

والعجيب هنا أن طيب كان يقارن بين دولة مستقلة (سوريا) ومحافظة تحت السيادة الإيرانية الكاملة (خوزستان).

وهكذا يتضح من تصريحه أن إيران لا يمكنها أن تتحمل خسارة سوريا مطلقًا.

سوريا باعتبارها دولة شيعية

وعلى أية حال، إذًا، سيكون على إيران زيادة تدخلها العسكري في سوريا. وسوف يكون على ممثل خامنئي في لبنان (حزب الله اللبناني) المشاركة في بناء الاستراتيجية الجديدة في سوريا، والعمل بجانب إيران ضد الجماعات الإسلامية السنيّة المتطرفة التي تهدد المصالح الإيرانية في سوريا.

ولطالما كان لطهران طموحات سياسية في ما يتعلق بسوريا منذ سنوات، واستثمرت فعلًا موارد ضخمة في محاولة تحويل سوريا إلى دولة شيعية. بدأت العملية خلال حكم حافظ الأسد عندما تمّ إنشاء شبكة واسعة النطاق من المؤسسات التعليمية والثقافية والدينية الشيعية في جميع أنحاء سوريا، وقد توسعت هذه الشبكة الشيعية بصورة هائلة وغير مقيدة أثناء حكم بشار الأسد. وكان الهدف هو تعزيز التشيع في مناطق الدولة السورية كافة. النظام السوري سمح للمبشرين الإيرانيين العمل بحرية لنشر المذهب الشيعي في دمشق ومدن الساحل العلوية، فضلًا على البلدات والقرى الصغيرة. وتشير دراسة

ميدانية نفذت من قبل معهد تابع للاتحاد الأوروبي في النصف الأول من عام 2006، أن أكبر نسبة تحول إلى المذهب الشيعي وقعت في المناطق ذات الأغلبية العلوية.

امتيازات ومعاملة تفضيلية للمتشيعين

وفي المناطق الحضرية والريفية السورية، حصل أهل السنة وغيرهم ممن تحولوا إلى المذهب الشيعي على امتيازات ومعاملة تفضيلية في تلقي أموال المساعدات الإيرانية السخية. واجتمع رؤساء القبائل في منطقة الرقّة السورية، مع السفير الإيراني في دمشق الذي قدم لهم دعوة لزيارة جميع أنحاء إيران مجانًا، ودفع الإيرانيون الأموال إلى الفقراء وقدموا القروض المالية للتجار من دون أن يطالبونهم بإعادتها. وتمّ الكشف عن أبعاد الاستثمارات الإيرانية في الرقة، والتي شملت مبانٍ أنيقة ومساجد وحسينيات، من قبل المتمردين السنة الذين استولوا على تلك البلدة النائية ودمروا كل علامات الوجود الإيراني هناك.

من حافظ إلى بشار:
تضاعفت السياحة الدينية الإيرانية
أكثر من عشر مرات

لقد تضاعفت السياحة الدينية الإيرانية أكثر من عشر مرات من عهد حافظ إلى عهد بشار.

وبحلول عام 2009، كان هناك أكثر من 500 حسينية في سوريا تخضع لأعمال الصيانة الإيرانية. وفي دمشق نفسها استثمر الإيرانيون مبالغ ضخمة للسيطرة على الأماكن الشيعية المقدسة بما في ذلك مقام السيدة زينب، ومقام السيدة رقية، ومقام السيدة سكينة. هذه المواقع تجذب السياحة الإيرانية، التي تضاعفت أكثر من عشر مرات من عهد حافظ الأسد حتى عهد بشار الأسد (من 27 ألف زائر في عام 1978، إلى 290 ألف زائر في عام 2003).

كما تدير إيران أيضًا مركزًا ثقافيًا رفيع المستوى في دمشق، والذي تعتبره أحد أكثر مؤسساتها أهمية ونجاحًا وفاعلية. هذا المركز ينشر أعمالًا باللغة العربية، وينظم فعاليات ثقافية كل أسبوعين، ويعقد ندوات ومؤتمرات تهدف إلى تعزيز النفوذ الثقافي

الإيراني في البلاد. ويؤدي المركز الثقافي الإيراني دورًا مهمًّا في نشر وتدريس اللغة الفارسية في الجامعات السورية، بما في ذلك توفير معلمين للغة الفارسية.

رعاية إيران للقوى الشيعية في سوريا

تجري في الوقت الحاضر معارك دامية على مراكز النفوذ الإيراني في سوريا، وأهمها مقام السيدة زينب ـ شقيقة الإمام الحسين ـ الذي قتل بوحشية في عام 680 في كربلاء. وفي التأريخ الإيراني غير الرسمي، **يعتبر الإيرانيون أن المؤشر المميز لانتصارهم الكبير على أهل السنة يتمثل في النهضة الشيعية التي تشهدها دمشق عاصمة الإمبراطورية الأموية المكروهة**، ولكن الثوار السُّنة يهددون الآن هذا الإنجاز الإيراني. وقد تمّ تجنيد حزب الله في هذه القضية، ليرسل مئات المحاربين من لبنان إلى سوريا، وهؤلاء أنفسهم يحاولون تضليل الإعلام عبر نفي انتمائهم لحزب الله، ونسب أنفسهم إلى ما يسمى بـ «لواء أبو الفضل العباس» نسبة إلى الأخ غير الشقيق للإمام الحسين.

وكما سلف، تقوم إيران أيضًا بتجنيد قوة حربية شيعية في العراق للحرب في سوريا. ويتمّ تنظيم هذه القوة في إطار شقيق لحزب الله اللبناني. وتعرف هذه القوة الجديدة باسم «**عصائب أهل الحق وكتائب حزب الله**»، ومهمتها الرئيسة الدفاع عن المراكز الشيعية في دمشق. ويعمل أيضًا مقاتلو حزب الله في مناطق أخرى، بعضها خارج الحدود اللبنانية في القرى الشيعية في الأراضي السورية عبر الطريق إلى حمص، وبالتالي سيصنعون نوعًا من التواصل الجغرافي لسيطرة العلويين الجارية تحت النفوذ الإيراني، وهذا التواصل يعتبر مهمة استراتيجية لإيران لأنها تربط لبنان ودمشق بالساحل العلوي؛ فإيران تهدف إلى خلق شبكة من الميليشيات داخل سوريا لحماية مصالحها الحيوية، بغض النظر عن ما يحدث للأسد.

الشيخ صبحي الطفيلي يعارض حزب الله بشجاعة نادرة

وتستمر الحرب في سوريا من دون أن تبدو بوادر أي نتيجة حاسمة في الأفق. خسائر حزب الله آخذة في الزيادة. وأصبح الشيخ صبحي الطفيلي، أول

رئيس لحزب الله والذي أقيل من قيادته من قبل إيران في بداية التسعينيات، أبرز المعارضين لتدخل حزب الله في سوريا. وزعم الطفيلي مؤخرًا، أن 138 من محاربي حزب الله قد قتلوا في سوريا فضلًا عن عشرات الجرحى الذين نقلوا إلى مستشفيات لبنان. مراسم دفن الموتى في كثير من الأحيان تقام سرًّا، وأحيانًا في الليل، وذلك لتجنب غضب واستياء السكان الشيعة. ولكن هذه الإصابات لم تكن تخفى تمامًا عن أنظار المواطنين الشيعة، ما أدى إلى أن تتساءل بعض العائلات بقوة عن تبرير مثل هذه التضحيات غير الضرورية والتي ليست في إطار الجهاد المقدس ضد إسرائيل الذي يعتبر في نظرهم السبب الرئيس لوجود حزب الله؟!

أكد الشيخ الطفيلي، من جانبه، أن محاربي حزب الله الذين قتلوا في سوريا «ليسوا شهداء وسوف يدخلون جهنم». كما أكد أن سوريا «ليست كربلاء» ومحاربي حزب الله في سوريا «ليسوا جنود الإمام الحسين». وأضاف إن الشعب السوري المظلوم والبريء هو كربلاء وثوار الشعب السوري هم أبناء الحسين وزينب. ووصلت معارضة الشيخ

الطفيلي إلى درجة القول إنه «يشيد بالآباء والأمهات الذين يمنعون أبناءهم من الذهاب إلى سوريا ويقول لهم إن الله معهم». وأشار الطفيلي أيضًا إلى أنه، من الناحية الشرعية، لم تصدر أي فتوى معتمدة تسمح بمشاركة حزب الله في الحرب في سوريا. وقال إنه ناشد المرجع الديني الأعلى ـ مرجع التقليد في النجف وفي لبنان ـ بعدم إصدار مثل هذه الفتاوى.

ولا يعتبر الشيخ الطفيلي الوحيد في الطائفة الشيعية اللبنانية، من حيث معارضة دور حزب الله كذراع لإيران في سوريا؛ فالأصوات تتزايد داخل حزب الله نفسه، معبرة عن الشك في حكمة نصر الله في الوقوف إلى جانب بشار الأسد؟ ورفض آخرون الذهاب للقتال في سوريا، لا بل هناك بالفعل بعض من انشقوا وفروا من صفوف حزب الله حتى لا يشاركوا في القتال إلى جانب بشار الأسد. ولكن حتى الآن، لا يبدو أن تلك المعارضة تستطيع ردع حزب الله من الاستمرار؛ **ففي نهاية المطاف، حزب الله ليس حركة وطنية لبنانية ولكنه اختراع إيراني يخضع لسلطة إيران الحصرية.**

لقد استُدعي نصر الله إلى طهران لتشجيعه على

دخول سوريا ومواصلة العمل كجندي مخلص ومطيع للولي الفقيه: آية الله علي خامنئي.

ومن المرجح أيضًا أن طهران سوف تبذل كل جهد ممكن لتجنيد عناصر شيعية إضافية من العراق والخليج الفارسي، بل وحتى من باكستان كما نقلت بعض المصادر؛ فبالنسبة إلى الجمهورية الإسلامية، فإن هذه الحرب هي صراع من أجل البقاء ضد انتفاضة سنيّة راديكالية تنظر إلى إيران والشيعة ككفار تجب إبادتهم.

هذه هي الحرب الحقيقية التي تدور اليوم، ويمكن تشبيهها بحرب أهلية إسلامية.

ومن وجهة نظر إيران، إذا لم تتم هزيمة أهل السُّنة المتطرفين والتابعين لتنظيم القاعدة في سوريا، فإنهم سيتوجهون إلى العراق ويفرضون أنفسهم كما فعلوا في سوريا، وبالتالي يهددون مصالح إيران في الخليج الفارسي، ما يشكل خطرًا حقيقيًّا على طموحات الهيمنة الإقليمية الإيرانية. ولذلك، فإن خامنئي لا ينوي الاستسلام.

ويبقى أن نستنتج أن استعداد حزب الله للقتال مع بشار الأسد، ونزوله إلى ميدان المعركة فعليًّا جنبًا

إلى جنب مع إيران ضد السنة الراديكاليين في سوريا، يمكن أن يقرأ بأن طموحات حزب الله قد تدمر قريبًا توازن النظام الداخلي الحساس الذي تقوم عليه الدولة اللبنانية مع وجود احتمال حقيقي لاستيلاء حزب الله على لبنان برمته.

انتهى المقال

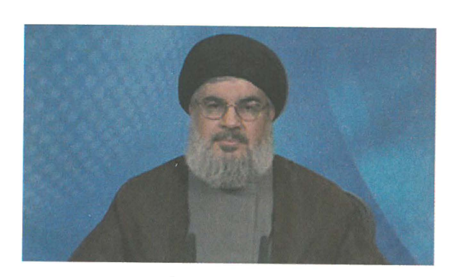
ملحق القسم الثاني :

معرض للصور

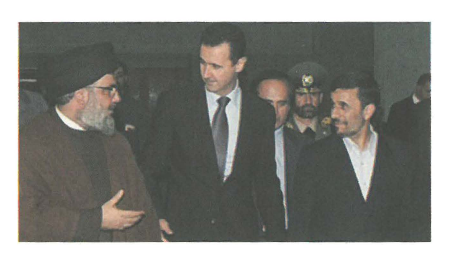
إعداد : د. حمد العيسى



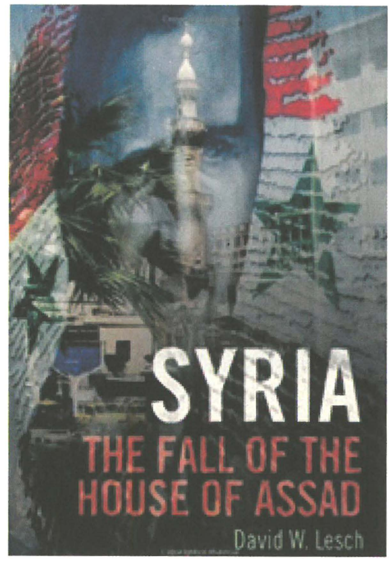
اللقاء الأخير بين نصر الله وخامنئي (وفوقهما صورة للخميني) وهو اللقاء الذي أعقبه تدخل حزب الله في سوريا لأول مرة.



السيد حسن نصر الله:
«سوريا لديها أصدقاء حقيقيين لن يتركوها تسقط».



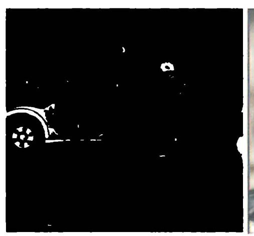
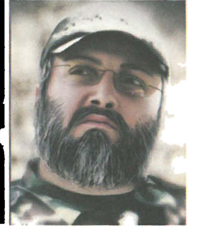
الحلفاء: أمين عام حزب الله الشيخ حسن نصر الله والرئيس السوري بشار الأسد والرئيس الإيراني السابق محمود أحمدي نجاد. يقول بروفيسور ديفيد ليش: «ويهدف إدخال حزب الله في الصراع المسلح في سوريا أولًا وقبل كل شيء لخدمة الاستراتيجية الإيرانية، والتي قامت بتحديد أهداف جديدة بخلاف المساعدات العسكرية للنظام السوري؛ فإيران تبدو بالفعل أنها بدأت تعمل بخطة لما بعد نجاة النظام السوري وتستعد لحقيقة واقعية في ما لو أصبح يجب عليها أن تعمل في سوريا حتى لو سقط الأسد».



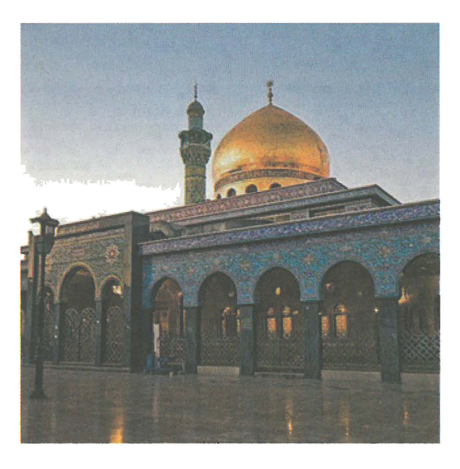
أحدث كتاب لديفيد ليش: «سوريا: سقوط آل الأسد».



الجنرال قاسم سليماني قائد قوة القدس التابعة للحرس الثوري والمسؤول عن السياسة الإيرانية في لبنان وسوريا. يعمل الجنرال سليماني لبسط سيطرة إيران على سوريا بالكامل.

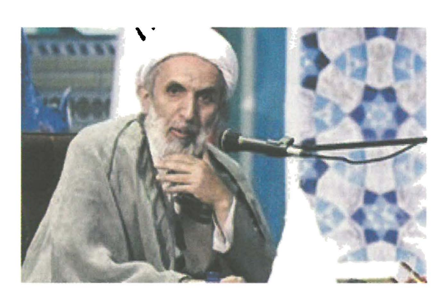
يمارس الشيخ حسن نصر الله حذرًا هائلًا حتى لا يظهر في العلن منذ حرب تموز (يوليو) عام 2006، وزاد الحذر منذ اغتيال رئيس الجناح العسكري لحزب الله، عماد مغنية (1962-2008)، في دمشق في تفجير سيارة مفخخة بتاريخ 12 فبراير/شباط 2008. واتهم حزب الله الموساد الإسرائيلي باغتياله وأكد ذلك مؤخرًا الباحث البريطاني غوردن توماس مع رواية استخباراتية كاملة ومثيرة للجريمة في الطبعة الجديدة من كتابه: جواسيس جدعون: التاريخ السري للموساد. (توماس دن للنشر، 2012، ص784).



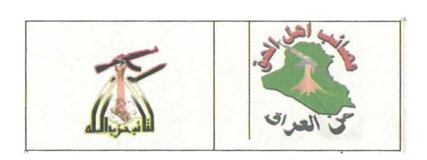
مقام السيدة زينب في دمشق يجذب السياحة الإيرانية، التي تضاعفت أكثر من عشر مرات من عهد حافظ الأسد حتى عهد بشار الأسد.



اللواء يحيى رحيم صفوي، القائد السابق للحرس الثوري ومستشار خامنئي حاليًا يخطط للسيطرة تمامًا على سوريا في حال سقوط الأسد لأن «لبنان وسوريا أعطيا لإيران عمقًا استراتيجيًا».



يرأس حجة الإسلام مهدي طيب، مركز عمار للدراسات التابع لـخـامـنـئـي (Ammar Headquarters) ويـقـول: إن «سـوريـا هـي المحافظة رقم 35 لإيران ولها أهمية استراتيجية أكبر من محافظة خوزستان. وعبر الحفاظ على سوريا، سوف نكون قادرين على حفظ خوزستان، ولكن إذا خسرنا سوريا فلن نقدر حتى المحافظة على طهران».



تقوم إيران أيضًا بتجنيد قوة حربية شيعية في العراق للحرب في سوريا. ويتم تنظيم هذه القوة في إطار شقيق لحزب الله اللبناني. وتعرف هذه القوة الجديدة باسم «عصائب أهل الحق وكتائب حزب الله»، ومهمتها الرئيسة الدفاع عن المراكز الشيعية في دمشق.



الشيخ صبحي الطفيلي، أول رئيس لحزب الله والذي أقيل من قيادته من قبل إيران في بداية التسعينيات، يعتبر أبرز المعارضين لتدخل حزب الله في سوريا. قال الطفيلي: إن محاربي حزب الله الذين قتلوا في سوريا «ليسوا شهداء وسوف يدخلون جهنم».



الدكتور/ حمد العيسى

- باحث ومترجم سعودي مقيم في المغرب.
- ولد في مدينة الدمام المطلة على الخليج العربي.
- بكالوريوس هندسة مدنية من جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.
عمل مهندس تخطيط في أرامكو السعودية من 1984 إلى 2004 حيث تقاعد مبكرا وتفرغ للكتابة والترجمة.
- حاصل على الدكتوراه في «الترجمة العامة إنكليزي-عربي».
- صدر له مجموعة قصصية وأكثر من 15 كتاب مترجم. كما يصدر له خلال 2014:
(1) (ترجمة) «حزب الله الحجاز: بداية ونهاية تنظيم إرهابي»، دراسة تاريخية/سياسية، توبي ماثيسن.
(2) (ترجمة) «دور إيران في محاولة الانقلاب الفاشلة عام 1981 في البحرين»، دراسة وثائقية تاريخية/سياسية، حسن طارق الحسن.
(3) (ترجمة) «التشيع في سوريا ليس خرافة»، بحث ميداني، بروفيسور خالد سنداوي.
(4) (ترجمة) «من قتل رفيق الحريري؟»، تحقيق استقصائي، نيل ماكدونالد.


hamad.aleisa@gmail.com